الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة-

كلية الآداب واللغات

قسم أدب عربي

الرقم التسلسلي

الرقم التسجيل: 13/MD12/182

فكرة الانتماء في الخطاب الروائي الجزائري ثلاثية "محمد ديب" أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة و أدب عربي فرع: الأدب العربي تخصص: أدب جزائري

إعداد الطلبة:

خولة أوعيل

إشراف الأستاذ:

أحمد أمين بوضياف

أعضاء اللجنة

عمر عليوي	رئيسا
أحمد أمين بوضياف	مشرفا و مقررا
حياة بوخلط	ممتحنا

2015/2014

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال تعالى: " . . وقليل من عبادي الشّكور . . "

قال صلّى الله عليه وسلّم : " من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه "

وقال أيضا : " من لم يشكر الناس لم يشكر الله "

بدءا نحمد الله العلي القدير حمدا كثيرا يليق بجلال وجهه وعظمة سلطانه لا تضاهى آلاءه ونعمه المصبغة وإن اجتهدنا لذلك،

ونصلّي ونسلّم ونبارك على شفيعنا ونبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلّم وبعد :

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والاحترام إلى الأستاذ المؤطر:

" أحمد أمين بوضياف "

حفظه الله والتّي كانت توجيهاته القيّمة بمثابة الخطوات التي ساعدتني في إنجاز هذا العمل،

" وكل أساتذة قسم الأدب العربي "

أتقدم بالشكر لكل من ساعدني في إتمام هذا العمل جزاهم الله عنّا كل خير

والله وليّ التوفيق.

مقدمة

مقدمة:

تعد الرواية كجنس أدبي في مقدمة الأشكال الأدبية التي حققت إنجازات لافتة كونها أصبحت متنفسا حقيقيا لنقل تفاصيل الواقع، و أضحت صوتا يحمل صرخة تحولات اجتماعية و أخرى سياسية...تطورت بحركية موازية لحركية المجتمع المتغير بشكل دائم فتأثر المشهد الروائي بالتحولات الحاصلة، وعبّر عن ذلك بمواضيع متنوعة مستمدة من واقعه ، جسد فيها الانتماء العربي الإسلامي.

ساهم في إثراء الفن كتابات وإبداعات متعددة و متنوعة حضيت بإقبال كبار المثقفين و النقاد، اخترت موضوع الدراسة المعنونة ب **:فكرة الانتماء في الخطاب الروائي** أهم مضامينه و علاقتها بقضايا الوطن أما عن النموذج ، أخذت **ثلاثية محمد ديب أنموذجا** بغية الوقوف على الروح الجزائرية فيها ، تحمل مساءلة و ملامسة للواقع وكون هذا النوع من الكتابات لم يعد ضيفا على الساحة الإبداعية الجزائرية لأنّ موضوعه جزائري و بعده عربي إسلامي .

سطرت خطة ، اتبعت فيها فصل تمهيدي ، فصل أول و ثاني و خاتمة ، تطرقت في الفصل التمهيدي إلى إطار منهجي و آخر مفاهيمي ، أشرت فيه إلى موضوع الدراسة أهم الإشكاليات التي تتمحور عليها و الفرضيات التي تبنى عنها ، اتبعت منهج لهذه الدراسة ، الهدف منها و مدى أهميتها .

وقفت عند المصطلحات التي مرت بي في جمع المادة العلمية و نبذة عن حياة محمد ديب و تلخيص موجز لثلاثيته المشهورة .

وقفت في الفصل الأول ،على الجانب النظري تناولت نصوص سردية عالجت موضوعات متشعبة من زوايا متعددة بين تقليد و تجديد وعلاقة الراهن بالخطاب الروائي الجزائري مثقلا بالإيحاء و الرمز و التراث و التاريخ،... حيث حاول الأدب الروائي الجزائري بمختلف اتجاهاته أن يكون في مستوى الثورة، أن يرسم بدقة معاناة

الشعب الجزائري ليكتسب حيويته، من الموضوعات التي يعالجها في سلم التطور الاجتماعي مبرزا انتماءه و هويته العربية الإسلامية.

تطرقت في الفصل الثاني إلى أهم القضايا التي عالجتها ثلاثية محمد ديب ،التي اتخذت من "دار سبيطار" و"قرية بوبلان " و"مصنع النسيج" مكانا لأحداثها، اختار الخبز و العمل و الإنسان ، ليعبر عن حياة يومية عاشها الشعب الجزائري ، صورة عن حياة الأسر الفقيرة البائسة وهذا ما نعيشه مع شخصية عمر في "الدار الكبيرة" ثم ننتقل مع البطل نفسه إلى الريف في رواية "الحريق" وما يعانيه من قمع و اضطهاد و يعود بنا الكاتب مرة ثانية إلى المدينة مدينة تلمسان ، ليصور قطاعا آخر، قطاع العمال محاولا إتمام الصورة العامة للجزائر إبان الاستعمار الفرنسي، لتكون الثلاثية مرآة لواقع عربي بمختلف جوانبه و طبقاته ، بكل أبعاده الدّينية و الإيديولوجية، فنرى ملامح هذا الشعب و هذه البيئة عبر تنويعه لأنماط شخصياته ، "فالدار الكبيرة ـ الحريق ـ النول " ما هي إلا رسم واضح لبيئة جزائرية ، وبداية للوعي القومي ترصد فترة التهيئة النفسية للمعركة القادمة , والصمت المرتقب .

وللإلمام بهذه الدراسة استعت بمصادر و مراجع ، أهمها:ثلاثية محمد ديب ، واسيني الأعرج اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، أم الخير جبور الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية "دراسة سوسيو نقدية" .

عند دراستي لهذا الموضوع واجهت صعوبات والتي من بينها:تشابه معظم الدراسات التي عالجت الموضوع بحيث تطابقت وجهات نظر الباحثين.

تبقى آفاق البحث مفتوحة للوقوف على كثير من المتون الروائية التي تتطلب التعمق لأنّ الجديد في البحث مهما عمق واتسع لا يمكن أن ينتهي عند حد معين.

و الله ولي التوفيق.

الفصل التمهـــيدي :

1/ الإطار المنهجي :

1 - 1 : موضوع الدراسة .

2-1 :إشكالية الدراسة .

1 -3 : فرضيات الدراسة .
2 -4 : منهج الدراسة .
3 -5 : أهداف الدراسة .

1- 6 : أهمية الدراسة .

2/ الإطار المفاهيمي:

3-2 : تعريف الرواية .

2-2 : تعريف الخطاب.

3-2 : تعريف الشخصية .

4-2 : تعريف الزمان .

5-2 : تعريف المكان .

6-2 : تعريف الهوية .

7-2 : نبذة حول حياة محمد ديب .

8-2 : ملخص الثلاثية.

1 / الاطار المنهجي :

1 - 1 : موضوع الدراسة :

تتربع الرواية الجزائرية على مكانة مرموقة تحمل صوت الشعب الذي حاول الاستعمار طمس هويتة وبهذا ذاع صيت الرواية الجزائرية واستطاعت أن تفرض نفسها ضمن أهم الفنون الأدبية وهذا أن دل على شي إنما يدل على استيعابها للأسس الفنية التي يبنى عليه العمل الأدبي وارتباطها بالتحولات الحاصلة.

كانت الرواية المكتوبة بالفرنسية سباقة تاريخيا لهذا الفن، من بين الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذه الدراسة هي:

الانتماء في الخطاب الروائي: وبناؤه المعياري الأصيل ذي الأبعاد العميقة فاخترنا أنموذجا ألا وهو (ثلاثية محمد ديب).

1- 2: إشكالية الدراسة:

قام هذا البحث على إشكالية تتمحور حور فكرة الانتماء في الخطاب الروائي (ثلاثية محمد ديب) أنموذجا .

وتتكئ هذه الإشكالية على جملة من التساؤلات :

كيف جسدت النصوص الروائية فكرة الانتماء وعبرت عن هويتها العربية الجزائرية؟.

ما هي أهم المضامين التي تناولتها هاته النصوص؟.

إلى أي مدى استطاعت ثلاثيته أن تعبر عن انتمائها العربي الجزائري؟ .

هل استطاع محمد ديب في ثلاثيته المشهورة أن يؤرخ لثورة جزائرية و أن تكون مذكرة الشعب ؟.

1 - 3: فرضيات الدراسة :

تأثر المشهد الروائي بالأحداث التي عرفتها الجزائر مما تمخض عنه تطور هام اخذ اتجاهات فنية مختلفة تبعا لتحولات تسوقها.

عرفت النصوص الروائية تجربة إبداعية مميزة، لتحتضن مساحة خصبة في خارطة الثقافة العربية والغربية وهذا ما تعكسه ثلاثية محمد ديب التي وصفها اراغون بأنها مذكرات الشعب الجزائري أوهي الجزائر نفسها.

الرواية في مقدمة الأشكال الأدبية التي حققت انجازات لافتة أسالت الحبر الكثير من طرف الباحثين والنقاد خاصة ما كتب باللغة الفرنسية وهويته العربية الجزائرية والذي لم يعد ضيفا على الساحة الإبداعية الجزائرية.

1- 4 : منهج الدراسة:

إن دراستنا للخطاب الروائي وهويته في فترة تعد أهم فتراته التاريخية في ثلاثية محمد ديب يتطلب منا أن نسلك المنهج التاريخي للوصول إلى هذه المادة العلمية.

كما حاولنا في هذا البحث أن نكشف عن المنهج الوصفي لتحديد المضمون الروائي وأبعاده موضوعا وأسلوبا.

نقف أيضا على المنهج التحليلي في الدراسة التطبيقية للثلاثية "الدار الكبيرة ـالحريق– النّول".

1 - 5 : أهداف الدراسة:

لا بد لنا من الإشارة أن هذه الدراسة تتطلب الدقة والشمول لذلك كان علينا أن نسطر أهداف والتي من أهمها:

طبيعة الموضوع الذي تتشابك فيه حقول معرفية ترتبط ارتباطا وثيقا بالمرجعية الاجتماعية والسياسية و التاريخية.

تسليط الضوء على المتن الروائي عامة ، والمكتوبة بالفرنسية خاصة الذي تطور بحركية موازية لحركية المجتمع المتغير بشكل دائم.

إثراء الدراسات النقدية حول "ثلاثية محمد ديب" الكاتب الجزائري ،وأهم ما تضمنته خطاباته الروائية الجزائرية و الوقوف على أهم أبعادها.

1- 6 :أهمية الدراسة:

خلال تصفحنا لدراسات سابقة في الرواية الجزائرية وإشكالية انتمائها اخترنا رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير الموسومة ب: الشخصية التاريخية في الرواية الجزائرية وهوية الانتماء، تقوم على ثلاثة فصول ومقدمة ومدخل، خاتمة.

مقدمة هذه الرسالة تتحدث عن المكانة التي بلغتها الرواية الجزائرية وكيف جعلت من نفسها صوتا سمعته كل الأقطار العربية التي عاشت تحولات اجتماعية وأخرى سياسية... ساهم في إثراء هذا الفن كتابات وإبداعات متعددة ومتنوعة حضيت بإقبال كبار المثقفين والنقاد.

المدخل: تتكلم عن مفهوم الشخصية ودورها في بناء الرواية من حيث هي ليست نموذج من الواقع كما هو إنما تتجاوزه لتصبح معادلا فنيا للشخصية الواقعية لفئة معينة.

العمل الروائي يعتمد إلى حد كبير على الشخصية ودورها في بناء الرواية لذا لابد عليه أن يهتم بها قدر اهتمامه بالفكرة والحدث ليكتمل عمله.

خصصت في الفصل الأول مبحثين:

المبحث الأول: تعرضت فيه إلى عمالقة الرواية حين اتخذت الرواية الطابع التعليمي ومع قدوم النصف الأول من القرن 20 بدأ توظيف التاريخ يتسرب إلى الكتابة الروائية بشكل واضح، والرواية لم تقف هنا بل اجتهد الروائيون على ربط أعمالهم بالواقع في صور مختلفة.

النص الروائي يستدعي الشخصية التاريخية لتحقيق أبعاد جمالية و فهم متناقضات الحياة.

المبحث الثاني: تناولت فيه علاقة الكاتب بالتاريخ، فالمبدع لايستطيع أن يبدع من الفراغ وإنما ثمة مجموعة من المنطلقات يرتكز عليها.

إنّ الأديب يستفيد من واقعه لإعطاء النص أبعاد دلالية وجمالية تخدم فكر وموقف المؤلف ،وكانت حرب التحرير الأولى التي رسمت بحيث حاولت الروايات تقرير الماضي بالحاضر.

خصصت في الفصل الثاني مبحثين: تناولت الشخصية السياسية والدّينية محاطة بأجواء وأحداث ، لشد انتباه القارئ حول المضامين التي تحملها مثقلة بالإيحاء والرموز اتخذت أنموذجا لها رواية " الجازية والدراويش لعبد الحميد بن هدوقة " ، "الوالي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي للطاهر وطار"،"فوضى الحواس ،عابرسرير،ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي".

المبحث الثاني: تعرضت للشخصية الثقافية فأشارت إلى الطريقة الذكية للكاتب في تمرير آراءه وأفكاره عبر الأسماء بشكل واضح.

خصصت في الفصل الثالث مبحثين الأول :عالجت فيه الشخصيات المرجعية في الخطاب السردي بحيث لم تستحضر الخطاب التاريخي كما هو محاولتا البحث في جذور الأمة الجزائرية ،بل العربية والإسلامية ككل وهذا على ضوء دراسة روايات عبد الحميد بن هدوقة، الطاهر وطار، أحلام مستغانمي.

جسدت هذه الروايات عمل فني جرئ جمع سمات الرواية السياسية والواقع والأسطورة.

أما المبحث الثاني :تناولت فيه الشخصية الثقافية سواء كانت فكرية أو أدبية فكثيرا ما عمد الروائيون سرد أقوال لشخصيات أدبية وأحداث أخذت حيزا عند القراء وهذا ما أشارت إليه الرسالة في ثلاثية أحلام مستغانمي الحافلة بالشخصيات الأدبية والفكرية والغربية، حيث نوهت بالقدرات الروائية التي تجاوزت الجغرافيا الثقافية .

أنهت البحث بخاتمة أشارت فيها إلى النتائج التي توصلت إليها:

الرواية أصبحت قادرة على استيعاب العناصر والأسس الفنية التي يبنى عليها العمل الأدبي، بحيث لم تعد الفنون الأخرى قادرة على التحكم فيه لا في تقدمه أو في دفعه إلى الجمود.

الرواية الجزائرية تخضع للتحول، فتجعل الأديب ينقل لمجتمعه كتاباته، وأن ّالكاتب لا يكتب لنفسه، اختار المضمون المأخوذ من عمق المجتمع الجزائري وأنّ العمل الروائي يحمل انتماءه الجزائري.

نقف أيضا على ثلاثية الطاهر وطار كدراسة سابقة للرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية والتي انفجرت على الساحة الجزائرية، عبّرت عن تجربة فنية روائية جزائرية الانتماء عربية الهوية.

الرسالة لنيل شهادة الماجستير الموسومة بـ: هاجس الراهن في ثلاثية الطاهر وطار(الشمعة والدهاليز- الوالي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي- الوالي الطاهر يرفع يده بالدعاء)، تقوم الرسالة على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة .

مقدمة : تناولت علاقة الراهن بالخطاب الروائي الجزائري، فتزامن ظهور الثلاثية على الساحة الأدبية مع الأزمة الأدبية الجزائرية، فالروايات السابقة ترتبط بعضها ببعض بشكل متسلسل مما يتيح لنا الوقوف عند النصوص بوصفها ثلاثية.

انطلقت من واقع العنف في الجزائر خلال عشرية الدم والإرهاب ،التي أدخلت الجزائر في متاهات الأسئلة المعقدة.

المدخل : تكلمت عن أهم الظروف المحيطة بالإبداع الجزائري وتحديدا بالمرحلة التي أنجبت أهم روايات الطاهر وطار التي عرف من خلالها كمبدع وكاتب والتي كانت سببا في التأسيس لمرجعية اجتماعية وتاريخية، باعتبارها قيمة فنية وأفقا واسعا للإبداع لتساءل الكتابة نفسها وتجدد أدواتها لترتبط باللحظة الحداثية.

الفصل الأول : رصدت مختلف الأسباب والخلفيات التي مهدت لاندلاع العنف وتطور ظاهرة الإرهاب في الجزائر خاصة في ظل نمو الفكر الإيديولوجي وتصاعد درجات التطرف في الجزائر بدءا بالخلفية السياسية حيث ركز الطاهر وطار على كشف أخطاء السلطة خلال مرحلة الحزب الواحد ،التي شهدت تحللا في المفاهيم والقيم الثورية

والاشتراكية، ثم مرحلة الانفتاح السياسي التي قادت الجزائر إلى فوهة الانفجار، كما تبنى الاشتراكية كاتجاه إيديولوجي وسياسي ثم وصولا إلى أحداث أكتوبر 1988.

الفصل الثاني: وقفت عند أهم المراحل والمحطات التي ميزت مسار التجربة السياسية الجزائرية، وانعكست في علاقة جدلية على التجربة الفنية والروائية التي عبرت عنها (الشمعة والدهاليز) التي تؤرخ لزمن قيام الإيديولوجيا.

وفي رواية (الوالي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي) حاول الكاتب استقراء واقع العنف في الجزائر وتفسّر الأزمة .

أما رواية (الوالي الطاهر يرفع يده بالدعاء) عبرت عن مرحلة المصالحة التي حاول من خلالها إثارة قضايا عربية سياسية، انتهى فيها إلى تكوين رؤية تاريخية وحداثية حول المأزق العربي وسبل التحرر.

الفصل الثالث: بحثت في تجليات الأزمة الجزائرية وقضايا الراهن التي هيمنت على نصوص الطاهر وطار فوقفت عند الايدولوجيا التي كانت محور المضمون الروائي ثم الدّين.

ركزت على الصدمة التي عاشها المثقف الجزائري البطل الفعلي في المسلسل العنف وحكاية التطرف.

خاتمة: حاولت في نهاية البحث تقييم المسار الذي قطعه الكاتب انطلاقا من الأفكار النظرية التي تمت صياغتها وخرجت بنتائج أهمها:

الشمعة والدهاليز استطاعت أن تؤرخ لمأزق السلطة زمن قيام الإيديولوجيا.

ثلاثية الطاهر وطار امتزجت بالراهن، رصدت مشاهد العنف فاستفادت بذلك من انجازات الرواية الجديدة على المستوى الفني فيما يتعلق بلعبة الزمن.

2 / الإطار المفاهيمي :

إنّ دراستنا لهذا البحث تتطلب منا الوقوف أمام بعض المصطلحات التي مرت بنا في جمع المادة العلمية، إذ كان من الصعب أن نمر عليها مرور الكرام دون أن نعرج عليها لتحديد مفهومها ومضامينها الفكرية.

2-1: تعريف الرواية:

لغة: تدل على التفكير في الأمر وتدل على نقل الماء وأخذه، كما تدل على نقل الخبر واستظهاره.

ورد في لسان العرب: روي من الماء بالكسر ومن اللبن يروى ريا....ويقال روى فلان فلانا شعرا إذا رواه له.....قال الجوهري رويت الحديث والشعر رواية....ورويته الشعر أي حملته على روايته وتقول أنشد القصيدة يا هذا ولا تقل أروها إلا أن تأمره بروايتها أي باستظهارها.[1]

اصطلاحا: جنس أدبي حديث دائم التطور، كلية وموضوعية أو ذاتية تستعير معيارها من بنية المجتمع تتجاوز المتناقضات.

يقول ميخائيل باختبن : أن تعريف الرواية لم يجد جوابا بعد بسبب تطورها الدائم.[2]

وبالقدر الذي تبدو فيه الرواية معروفة فان تعريفها ليس بالأمر الهين وذلك ما أشار إليه د/ عبد المالك مرتاض (والحق أننا بدون خجل ولا تردد نبادر إلى الرد عن السؤال بعدم القدرة على الإجابة).[3]

---

[1] :ابن منظور:لسان العرب، بيروت، لبنان، دار صادر، م6، 2002، ص270.

[2] :باختين مخائيل :الملحقة الرواية ، تر: تح : جمال شحيذ ، (د.ط) ص124 .

[3] :مرتاض مالك : الرواية جنسا أدبيا ، مجلة الأقلام ، 1986 ، ص 124 .

2-2: تعريف الخطاب:

لغة: خطب، الخطب: الشأن أو الأمر صغر أو عظم، وقيل هو سبب الأمر...والخطب الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال.

و الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان.... الخطبة عند العرب الكلام المنثور المسجع ونحوه والخطبة مثل الرسالة التي لها أوّل ولها آخر، وقيل هي جمع مخطبة والمخطبة، الخطبة، والمخاطبة، مفاعله من المخاطبة والمشاورة[1]...

قال بعض المفسرون في قوله تعالى: (وشددنا ملكه واتينه الحكمة وفصل الخطاب).[2]

اصطلاحا: يحيل مصطلح الخطاب على فهم النص على أنّه يؤدي معنى الظهور والانتصاب فيعرفه "الشافعي "النص على أنّه خطاب يعلم ما أريد به من الحكم سواء كان مستقلا بنفسه أو العلم المراد به غيره نافيا الاجتهاد.[3]

فدلالة نص تحيل دائما إلى البروز والظهور وتستبعد التأويل وتلغي أي دلالة مستترة قد يتضمنها المفهوم، ولقد كان ظهوره مرتبطا بالثقافة العربية بأدلة الأحكام من القران والحديث.

الخطاب عند ابن جني يرتبط بمصطلح القناة المؤدية له وهي اللغة التي عرفها ابن جني على أنّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.[4]

ولقد عرف النص بأنه ما تنقرئ فيه الكتابة وتنكتب فيه القراءة.[5]

---

[1] : ابن منظور: لسان العرب، م5، ص 97 -98.

[2] : من سورة "ص"،ا لآية: 19.

[3] :الشافعي: الرسالة, تر: محمد شاكر، القاهرة، المكتبة العلمية، ط1، (د. ت) ، ص14 .

[4] :ابن جني : الخصائص ، تح: محمد علي النجار ، بيروت ، دار الكتاب العلمية ، ج1 ، (د.ت) ، ص33 .

[5]:رشيد بن حدو : قراءة في القراءة ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، لعدد 49 ،1988 ، ص13 .

2:3:الشخصية:

لغة : جاء في لسان العرب: شخص، الشخص، جماعة شخاص الإنسان، وغيره مذكر والجمع أشخاص وشخوص وشخاص.[1]

اصطلاحا: الشخصية هي مركز الأفكار ومجال المعاني التي تدور حولها الأحداث في لعبته الفكرية الفنية.

الشخصية هي مجرد أحجار شطرنج استخدمها الكاتب في لعبته الفكرية الفنية ،لأنها لا تستطيع أن تتحرك أو تتنفس إلا وفقا لرعايته، هو الذي رسم لها قانونها الأخلاقي ويملي عليها التصرف ضمن مضمونها الخاص للخطأ والصواب.[2]

ويرى نجيب محفوظ أنّ الشخصية الطبيعية عند دخولها في الرواية تتخذ وظيفة جديدة تدل معنى جديد تكون جزءا من لوحة كبيرة .[3]

يعبر الراوي عن أفكاره من خلال الشخصية بحيث يحملها مهمة أراد إظهارها ذات هدف.

2 -4: تعريف الزمان:

لغة : زمن، الزمن و الزمان اسم لقليل الوقت و كثيره ...و الجمع أزمن و أزمان و أزمنة ...أزمن الشيء ، طال عليه الزمان. والزمنة : البرهة ... والزمانة تعيش أيضا الحب.[4]

---

[1] :ابن منظور: لسان العرب، م8، ص 32.

[2] :واسيني الأعرج:اتجاهات الرواية العربية الجزائرية، الجزائر، 1986، ص87.

[3] : حسام الخطيب: بناء الشخصية الروائية، في رواية نجيب محفوظ، لبنان، دار الحداثة، ط 1، ص181.

[4] : ابن منظور: لسان العرب ،م7 ، ص 20 - 21.

اصطلاحا: الزمن في النصوص الروائية عنصر بنائي في العمل الروائي والتي لا يمكن بأي حال من الأحوال تصور رواية مبنية دون الاعتماد عليه ويمكن القول أن كل نص روائي يتضمنه بالضرورة.

فيقول عمرو عيلان إنّ الزمن هو كائن ينقصه الوجود، أو هو الكائن المنعدم.[1]

هو الكائن المحسوس الذي لا نراه بأم أعيننا وإنما نحس أثاره تتجلى فينا وتتجسد في الكائنات التي تحيط بنا.[2]

فهو وهم مسلط على النفوس وعلى الحركة وعلى السكون وعلى كل شيء.

2 -5: تعريف المكان:

لغة: ورد في لسان العرب لابن منظور: المكان: الموضوع، لأنه موضوع لكينونة الشيء فيه، أمكن وأماكن، وأمكنة.[3]

اصطلاحا: يعتبر من المكونات الأساسية للسرد ليس عنصر زائد بل يكون الهدف في العمل الفني، فإن: مكان الرواية ليس هو المكان الطبيعي، فالنص يخلق عن طريق الكلمات مكانا خياليا له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة.[4]

المكان في الرواية عنصر مكون للحدث الروائي ومهمته تنظيم هذه الأحداث، فالمؤلف بمجرد سرد الأحداث ينتقل بنا إلى مكان خيالي.

---

[1] : عمرو عيلان : الايدولوجيا و بنية الخطاب الوائي "دراسة سوسيو بنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة " قسنطينة ، منشورات جامعة منتورات 2001 ، ص 271 .

[2] : عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية ، الكويت، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، ص 119 .

[3] :ابن منظور:لسان العرب ، م14 ، ص113.

[4] :سيزا قاسم :بناء الرواية "دراسة تحليلية لثلاثية نجيب محفوظ ، القاهرة، 2004،ص74 .

فالروائي مثلا- في نظر البعض- يقدم دائما حد أدني من الإشارات (الجغرافية) التي تشكل نقطة انطلاق من اجل تحريك خيال القارئ أو من اجل استكشافات منهجية للأماكن.[1]

6-2:تعريف الهوية:

لغة:الهوية كما يعرفها قاموس المنجد اللّغة العربية معناها، حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية.[2]

اصطلاحا :الإنسان يرى "يوري لوتمان "أنّ الإنسان بطبيعته أثناء تعامله مع المكان يجسد علاقة فيها تعزيز الانتماء للهوية الوطنية بأبعادها الكلية .[3]

[1] : محمد أحمداني: بنية النص السردي "من منظور النقد الأدبي " المركز الثقافي العربي، ط3، 2000، ص 53.

[2] :لويس معلوف :المنجد في اللّغة و الأدب و العلوم ،ط1،بيروت (د . ت) ، ص 564 - 565 .

[3] : url : http:// www. almadina .com/code/326297.

2 - 7 : نبذة عن حياته (محمد ديب) :

محمد ديب الكاتب والشاعر الجزائري ولد بالغرب الجزائري بمدينة تلمسان سنة 1920 وعاش طفولته فقيرا ثم يتيما بعد أن توفي والده وهو لا يزال في 10 من عمره لكنه تابع دراسته في مسقط رأسه ،انتقل للعمل في السكك الحديدية وعمره 19 سنة ثم عمل محاسبا ثم مترجما.[1]

... ثم عمل مصمما للديكور، وانتقل سنة 1948 إلى العاصمة الجزائرية والتقى هناك بالكاتب الفرنسي الكبير (ألبير كامي) والكاتب الجزائري (مولود فرعون) وغيرهم ليزداد اهتمامه بالكتابة والتأليف، ومنه سنة 1950 بدا في العمل الصيفي واشتغل بجريدة

(الجزائر الجمهورية) رفقة كاتب ياسين، بعد ذلك جاب محمد ديب بلدانا عديدة منها: فرنسا- روما ، وطاب له المقام في المملكة المغربية عام 1963، ومع استقلال الجزائر عاد إلى أهله.[2]

في سنة 1963 نال في الجزائر جائزة الدولة التقديرية للآداب برفقة محمد العيد أل خليفة كان أوّل كاتب صغير يحصل على جائزة الفرانكفونية وذلك عام 1994 حيث تسلمها من الأكاديمية الفرنسية تنويها بأعماله السردية الشعرية وبعد أن كتب الرواية، القصة،الشعر المسرحية عاش أزيد من 80 سنة توفي يوم 02 مايو 2003 (سان كلو بضواحي باريس)[3]

---

[1] : يوسف الأطرش : المنظور الروائي عند محمد ديب ، الجزائر ، منشورات ، إتحاد الكتاب الجزائريين ، 2004 ، ص 30 .

[2] : المرجع نفسه: ص 60 .

[3] : فتحي بوخالفة : محاضرات السنة الأولى ماستر " أدب جزائري " ، المسيلة ، 2014 ، ص 8 .

أصدر أول عمل أدبي عام 1953 وهي رواية (الدار الكبيرة) وقد نشترها (لوسوي) الفرنسية والتي اندلعت بعد صدورها بثلاث أشهر، وفي عام 1957 نشر (النول) ثم توالت كتاباته مابين 1970 -1977 وله خمسة دواوين شعرية منها:" آه لتكن الحياة" عام 1987 وأربع مجموعات قصصية منها " الليلة المتوحشة "1997 وثلاث مسرحيات آخرها (ألف مرحى لموسى) 1980.[1]

إلى جانب ترجمته للعديد من الأعمال، تحمل رواياته طابع الجدة والابتكار تلتصق بهموم الشعب تتأثر بالتيارات الأوروبية بأسلوب واقعي ولغة مميزة.

وأخيرا محمد ديب صاحب الحريق علامة مضيئة في الرواية الجزائرية استطاع أن يستلهم الواقع الاجتماعي،السياسي بقدرة بارعة هادئة بصورة فنية إيحائية وحدث نموذجي.[2]

كان يقول عن نفسه متحدثا عن هويتها وعلاقتها باللغة (إنّ أخيلتي وتصوراتي نابعة من اللغة العربية فهي لغتي الأم إلا أنّها مع ذلك تعتبر موروثا ينتمي إلى العمق المشترك

أما اللغة الفرنسية فتعتبر لغة أجنبية مع أنّي تعلمت القراءة بواسطتها،وقد خلقت منها لغتي).[3]

محمد ديب رائد الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، مؤرخ لمولد الرواية الجزائرية مثلت ثلاثيته مذكرات الشعب الجزائري كما وصفها ارغوان أو هي الجزائر نفسها.

---

[1] : يوسف الأطرش : المنظور الروائي عند محمد ديب ، ص 61.

[2] :فتحي بوخالفة : محاضرات السنة الأولى " ماستر " ، ص 9 .

[3] :المرجع نفسه ،ص 10 .

2 - 8 :ملخص الثلاثية :

شهدت فترة الخمسينات ظهور ثلاثيتين كبيرتين عدت حدثا بارزا في تاريخ الرواية العربية عامة وفي النتاج الروائي بشكل خاص أولها ثلاثية (الجزائر) لمحمد ديب والثانية لنجيب محفوظ.[1]

كتب محمد ديب هذه الثلاثية باللغة الفرنسية إلا أنّ إنتاجه عربي القلب والفكر فبيئته وأبطاله ومشكلاتهم هم من صميم الواقع العربي بكل ما فيه وليس فيه من الفرنسية إلا اللسان الذي فرضه الاستعمار.

تتألف الرواية من ثلاثية أجزاء (الدار الكبيرة- الحريق – النول)في مستلهم الكلام نشير إلى أنّ الإيقاع المكاني هو السمة الطاغية المسيطرة عليها.[2]

قد لا تعدو الحقيقة إذا قلنا أن ثلاثية محمد ديب هي رواية الطفولة لكنها طفولة معذبة بائسة فقيرة ودليلها شخصية عمر ومحيطه الذي فكان عليه أن ينقم منه أو يثور عليه.

استطاع الروائي محمد ديب دون تكلف أن يبرز أهم ملامح المجتمع الذي يدرسه فعرض واقعه المتخلف وعلله عن طريق لوحات مستمدة من الواقع المباشر، وهذا ما أعطي للثلاثية فكرا أصيلا.[3]

رواية "الحريق "هي الجزء الثاني من ثلاثيته تبدأ زمنيا حين تنتهي رواية الدار الكبيرة لكن فسحتها المكانية تختلف"الدار الكبير" تمثل المدينة والحريق تمثل الريف أي الجانب

---

[1] : منتديات الساخر -موقع على الإنترنت - www. Alsakher. com.

[2] :عايدة أديب :تطور الأدب القصصي الجزائري ،تر:محمد صقر ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1982، ص66.

[3]:منتديات الساخر - موقع على الانترنت - .

الآخر من حياة الجزائر البائسة ذلك أنّ الكاتب في هذه الثلاثية أوّل ما يستأثره هو المكان حيث صور في الجزء الثاني الاستغلال والشقاء الذي فرضه المستعمر ولكنه في الوقت نفسه يصور بشائر الوعي في نفوس الفلاحين ،هذا الوعي الجاد الصادق المتألم الذي انبثقت منه ثورتهم الكبرى.

نصل في نهاية المطاف للجزء الثالث "النّول "الذي يعود بنا مع بطل (الجزء الأول) إلى المدينة ليصور قطاعا آخر هو قطاع العمال، بذلك يولي الكاتب عناية التعمق في رؤية الواقع بأسلوب واعي.[1]

رسم محمد ديب بثلاثيته صور متكاملة للحياة في الجزائر بشتى جوانبها ومختلف طبقاتها وتقلبات فصولها، فبرهن على قدرة روائية كبيرة بطموحه الروائي الكبير كما برهن عن رؤية صادقة دقيقة للواقع وتفسير عميق لهذا الواقع وإدانة المستعمر، فكانت روايته بأجزائها الثلاثية صرخة احتجاج على الاستعمار، على البؤس الإنساني. [2]

[1] :الموقع السابق.

[3] :عايدة أديب :تطور الأدب القصصي الجزائري ، ص66 .

الفصـــل الأول: الانتماء في الخطاب الروائي الجزائري.

المبحث الأول: الخطاب الروائي الجزائري "مضامينه و أشكاله ".

1 / المضاميـــــــــــــــــن:

1 - 1: الاجتماعي.

1 - 2: السياسي.

1 - 3:الثورة.

1 - 4: التاريخ.

1 - 5: التراث.

1 - 6: الأسطورة.

2 / أشكالـــــــــــــــــــه:

2 - 1: التقليد.

2 - 2:التجديد.

المبحث الثاني: الانتماء في الخطاب الروائي الجزائري.

1: تجليات الانتماء الدّيني.

2:تجليات الانتماء الإيديولوجي.

3:تجليات الانتماء القومي.

المبحث الأول : الخطاب الروائي الجزائري " مضامينه وإشكاله":

1/ المضامين:

استطاعت كثير من الأعمال الروائية أن تمس حاله البؤس الاجتماعي التي وصل إليها الشعب الجزائري ،ولا سيما في فترة الحرب الكبرى التي طحنت الشعب فعبرت هاته الأعمال عن وعي جديد ونفس غير معهود في الكتابة يتغلغل في أعماق الشعب يسجل نبض الحياة اليومية، صورت معاناة الفلاحين والحرفيين في القرى والأرياف خاصة وفي المدن جسدت ،أيضا الصراع اليومي مع شظف العيش وقسوة الطبيعة وظلم السلطات واستغلال جهدهم وعرقهم ، وأمام هذه الأحداث المأساوية شرع الجزائريون في الإعداد الجدي للثورة المسلحة، فسارت الرواية أمام هاته الأحداث جنبا إلى جنب لتسطر انتمائها وهويتها العربية.

1-1: المضمون الاجتماعي :

العمل الأدبي حسب رأي فيصل دراج يعكس الواقع التاريخي ولا يضعه وهو لا يعكسه شروطا غائبة لم تولد بعد ، بل يعكس شروطا قائمة .... ضمن هذا الإطار تعتبر الرواية نتيجة فاعلة حاضرة مستوعبة لماضي محدد بمركباته الاجتماعية على الرغم من أنّه ينتج أثارا خيالية.

الروائيون الجزائريون رسموا بريشة دقيقة معاناة الشعب الجزائري فاكتسبت أعمالهم حيويتها وشبابها من المواضيع التي عالجتها في سلم التطور الاجتماعي.

الأديب الواقعي يصور البيئة تصويرا دقيقا يلتقط أدق جزئياتها ترتيبا عضويا لتصبح الشخصية حية في الرواية.[1]

إنّ الإنتاج هو نتاج المجتمع ومثلما يتطور هذا الأخير يتطورا العمل الروائي، إذن ليس سرا إن أطلقنا على السبعينيات عقد الرواة الجزائرية المكتوبة باللغة العربية بحيث

[1]: سيد حامد النساج : بانوراما الرواية العربية الحديثة ، القاهرة ، المركز العربي للثقافة و العلوم ،ط1 ، 1932 ، ص 53 .

شهدت هذه الفترة ما لم تشهده الفترات السابقة من تاريخ الجزائر على الإطلاق من انجازات سواء الاجتماعية ، السياسية، الاقتصادية والثقافية فكانت الرواية تجسيدا لذلك كله.

فكان للنص الروائي المكتوب بالفرنسية في عقد الخمسينات نصيبه من هذه المضامين فرواية مولود فرعون "الدروب الوعرة " نسقا مخالفا من حياة الجزائري يبرز فيها ذلك العالم المنغلق، وهي رواية عاطفية نجدها تصور حيرة وارتباك جيل نضج.[1]

عبرت روايته " ابن الفقير"عن صور المأساة التي تخبطت فيها الأسر الجزائرية يصف فيها حياة البسطاء في كفاحهم اليومي وتطلعاتهم المستقبلية، فيقدم مولود فرعون لوحة عن المجتمع القبائلي ليتعرف القارئ على البيئة الجزائرية من خلال معاناة العائلات، ومن أولى صور المعاناة التي رصدها هي صورة الحرمان التي تعانيها أسرة (فورولو).

عرض الكاتب لائحة لمظاهر الجوع والبؤس المجتمعين على الأسرة وعلى القرية بأكملها، ما عاشه أبناء المنطقة الذين اشتغلوا في الفلاحة أو العاطلين عن العمل أيضا رصد جهاد أسرة فورولو، ومعاناتهم في سبيل البقاء ،تحقيق الذات وصمودها في وجه المشاكل (فورولو) الصبي الذي يعيش المأساة والذي كبر وكبرت تساؤلاته عن الحياة .[2]

يعرض مولود فرعون أيضا صور الجهل والتخلف التي كان يعاني منها الشعب الجزائري أيام الاحتلال، مما أدى إلى انتشار الانحرافات والعقائد الباطلة التي عمل الاستعمار جاهدا على نشرها في المجتمع مثل السحر والشعوذة في شفاء مريض والدجل.

وعليه النص الروائي في هذه الفترة أو في فترات سابقة وحتى لاحقة جزء لا يتجزأ من الواقع المعاش ،المضطهد وأن الدراسة المنهجية لا تطمح أبدا أن تنهض على تمزيق وحدة النص وكليته وإنما على الموضوعية في كشف الروافد التي تشكل هذا النص.[3]

---

[1]:نبراج سفيطلا : مولود فرعون وإبداعه ، مجلة التبيين ، جمعية الجاحظية الثقافية الجزائرية ، العدد، 8 ، 1994 ، ص 16 .

[2]: حلمي محمد القاعود: الرواية التاريخية في أدبنا الحديث "دراسة تطبيقية "، دار العلوم و الإيمان للنشر و التوزيع، 2008 ص:13 .

[3]:المرجع نفسه: ص147.

فمثلا رواية"غادة أم القرى" عنوانها يدل على أنها تعالج وضعية المرأة في مكة المكرمة فتعني كلمة غادة ،الفتاة الحسناء وأم القرى هي مكة و تصدق بنفس الدرجة على المرأة في الجزائر وقد أهدى المؤلف هذا العمل للمرأة الجزائرية قائلا: "إلى تلك التي تعيش محرومة من الحب ... ومن نعمة العلم... ومن نعمة الحرية ... إلى المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة تعزية وسلوى".[1]

الحرمان الذي عاشته المرأة الجزائرية نفسه ما حرمت منه المرأة المكية.

الشيء نفسه ما قام به "مرزاق يقطاش" في روايته الأولى " طيور في الظهيرة " تكلم فيها عن معاناة الطبقة المسحوقة إبان الاستعمار الفرنسي والهموم التي يعيشها الطفل استطاع أن يجعل من الحب لدى (مراد) قوة نضالية محركة لتقييم الأوضاع إلى ما هو أحسن ،حيث حول الكاتب الحب الإنساني الأصيل إلى مقياس للعلاقات الاجتماعية السائدة وجعل من الحب عند الفرد مؤشر إلى المستقبل لتجاوز هذه العلاقات التي تكون جديرة أو غير جديرة بالإنسان.

وهذا إن دل على شيئا نما يدل على أن المجتمع الجزائري بدأ" يغتصب " وذلك من زواياه الدافئة ، فكان الصراع بين الواقع ومختلف قضاياه يحتم على الأديب مهما حاول الهروب إلى الأمام ،وجد نفسه يعيش لحظة المواجهة مع هذا الواقع وتحديد موقفه.[2]

عبرت كثير من النماذج عن انتمائها الجزائري عبر مواضيعها المتنوعة , وابن هدوقة في روايته "ريح الجنوب" أول ما ينبغي الإشارة إليه أنها على خلاف كثير من الروايات التي ظهرت بعدها لتناولها موضوعا اجتماعيا جزائريا في الصميم فمؤلفها عبد الحميد بن هدوقة يعد من الأوائل الذين التفتوا فنيا إلى الحياة التي تحياها الأسر الجزائرية في الريف ،خاصة ريف الجنوب و رياحه الهوجاء وما يطبعه من قسوة الطبيعة وما يتطلبه من صبر ووفاء وتضحية ، عبّر فيها عن مرحلة اجتماعية وحضارية يمر بها المجتمع الجزائري في الريف .

[1]:أحمد رضا حوحو : غادة أم القرى ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط2 ، 1985 ، ص 2 .

[2]: واسيني الأعرج : إتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، ص 93 .

تمتاز قرية ابن هدوقة بالقرية النموذجية للريف الجزائري و التي أخذت عدة مميزات منها: تشكل الجو النفسي والمادي الذي شكل الإطار العام التي تحركت فيه شخوص الرواية على اختلافها،تمتاز أيضا القرية بالجمود أو بما أطلقت عليه نفيسة في بعض ملاحظاتها (الصمت) وهو الصمت الذي يرادف الموت الجو الذي يطبع الحياة في القرية وهذه المميزات خلفت ظروفا اجتماعية أقل ما يقال فيها أنها وقفت حجر عثر في طريق تطور القرية وسمحت للإقطاعية أن تعيش في عهد الاستقلال وتعمل على بسط نفوذها على الطبقة العاملة، وهذه الإقطاعية يمثلها ابن القاضي أبو نفيسة، الذي يمثل الإقطاعية العقارية خير تمثيل في نشاطها وانتهازيتها .[1]

كما عمد ابن هدوقة في روايته "الجازية والدراويش" أن يجعل من كل شخصية دلالة على كتلة اجتماعية أو واقع اجتماعي معين والجنس الروائي بشكل عام يقدم أو يحاول أن يقدم امتلاكا جماليا ومعرفيا للراهن الذي تصدر الرواية أثناءه زمانا ومكانا. [2]

نجد رواية "رمانه "للطاهر وطار و هو اسم لامرأة بكل حضورها الأنثوي وملامحها الإنسانية ، تبدو للوهلة الأولى أنّها لا تمت لقضية الجزائر بصلة ولكن النظرة المتأنية والواعية لخبايا السرد تكشف عن قدرة الطاهر وطار المتمرس في فنون السرد وتوظيف الرمز بطريقة شيقة تستوعب قضية الحرية وما أنهك الجزائريون من ظلم وقهر واستغلال " رمانة" ما هي إلا عيّنة أو جزء من هذا الوطن ويمكن النظر إليها على أنّها الوطن في رحلته الطويلة نحو الاستقلال.[3]

عالج المتن الروائي قضايا الفلاح وحقوقه المهضومة وهذا تجسده رواية "الأكواخ تحترق" لمحمد زتيلي ،تناولت موضوعا حساسا كان له الدور الكبير في تحديد مصائر الفلاحين الجزائريين المهمشين، والثورة الفلاح البسيط جمع في موضوعه بين الظلم والرفض فنسجها نسجا متماسكا بيّن من خلالها المظاهر السائدة في الريف من سيطرة الإقطاعية ،وبؤس الفلاحين وبساطة تفكيرهم واستسلامهم للظلم والاستغلال.

---

[1]: المرجع السابق ، ص: 94.

[2]: محمد كامل الخطيب: الرواية و الواقع، دار الحداثة، ط1، 1981، ص 15.

[3]:واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 95.

جسدت رواية " حين يدعم الرفض" لإدريس بوذيبة ، الفئة الخماسية أو الفلاحين المضطهدين في بلادهم بعد الاستقلال .

فبينما كانت المضامين القصصية تعانق الثورة وتعيد بناء التاريخ ،انتقلت إلى تفاصيل الحياة الاجتماعية لتعيد بناء وعيها من جديد ، ليظل العمل الأدبي انعكاسا للواقع،فمعظم الأعمال الروائية بمختلف اتجاهاتها المتناقضة أحيانا تناقضا ليس إلا الوجه الآخر للتناقض الاجتماعي وبغض النظر عن نجاحها أو عدمه ،تستهدف في مجملها خلق المجتمع البديل الذي يدمر كل القيم البالية.[1]

2-1: المضمون السياسي:

لقد سايرت الرواية الجزائرية الواقع ونقلت مختلف التغيرات التي طرأت على المجتمع بحكم الظروف والعوامل التي أسهمت في إحداث هذا التغيير، ومن الملاحظ أنّ الرواية الجزائرية قد صبغت بصبغة ثورية، خاصة الثورة ضد الاستعمار كما سايرت النظام الاشتراكي وهذا ما نجده في عقد السبعينيات حيث دخلت الرواية فيما بعد مرحلة جديدة فيها ثورة ونضال وانهزام، انطلق الكاتب من الواقع الذي يعيشه في زمن الأزمة فاصطلح عليه ب: "أدب الأزمة".[2]

الخطاب السياسي في الجزائر وليد الأفكار السياسية والوطنية إذ واكبت الرواية الجزائرية جل التحولات السياسية الطارئة على المجتمع الجزائري في مراحله المختلفة حافلا بمختلف التطورات والأحداث، بهذا ظهر نمط جديد للكتابة الروائية رواية المحنة أو الأزمة التي خاض فيها العديد من الروائيين الكبار أمثال : واسيني الأعرج , أحلام مستغانمي، الطاهر وطار ، ....

وعبر خطوط متعاقبة لواقع سياسي الذي ظهر بشكل أو بآخر مبلورة في الاتجاهات التي تجلت داخل النصوص الروائية ،فكشفت عن اختلاف الأفكار بشأن التطبيق الاشتراكي

[1]: المرجع السابق:ص95.

[2]:مفقود صالح: نشأة الرواية العربية في الجزائر " التأسيس و التأصيل "، مجلة الخبر ، العدد 2 ، 2005 ، ص 12 .

فكانت الرواية في هذه الحالة لا تكتسب شرعيتها من أدبيتها بقدر ما تكسبها بفضل الخطاب السياسي الذي تنحاز إليه ولذلك قد تصلح في كثير من المواقف وسيلة للدعاية السياسية أكثر مما تصلح للمتعة الفنية.[1]

حرص الطاهر وطار على تجسيد الصراع السياسي الحاصل في الواقع والذي نجد فيه الطرف الدّيني دورا أساسيا ويظهر بجلاء في روايته "الشمعة والدهاليز".

أورد في روايته شخصيات تاريخية سياسية إسلامية، تمثل فترات مختلفة باعتبارها من المرجعيات الفردية والتي ذكرت في نصوصه أكثر من مرة، وكثيرا ما أوردها في مجتمعه دلالة على وحدة الانتماء، فمثلا روايته " الوالي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" ذكر الأمير عبد القادر مع شخصيات أخرى (طارق ابن زياد).[2]

استطاع الطاهر وطار أن يتعامل مع المادة السردية تعاملا سيطر فيه على المادة الواسعة نوعا ما ، موجها إياها نحو غايته المنشودة في الوصول بالقصة إلى أبعادها السياسية وإبراز المخزون الدلالي المعقد لرمانة التي تبتعد عن كونها مجرد امرأة عانت الويلات، وإنما "رمانة" يمكن أن تقرأ على أنها جزء من ذلك الكل أو عيّنة منه تقرأ على أنها الكل نفسه، بمعنى آخر "رمانة" صورة للعديد من النساء اللواتي عانين الأمرين من طرف الاستعمار وتمكنّ من الانتصار، ويمكن لنا النظر إليها على أنّها قضية الجزائر التي مارسها الاستعمار في حق الشعب الجزائري ، لذلك جاءت ملامح المكان خافتة لا تكاد تتضح للقارئ إلا في تفاصيل جزئية.[3]

الشيء نفسه نجده في رواية "حورية " لعبد العزيز عبد المجيد الذي استطاع أن يقدم هذه المادة التاريخية بطريقة فنية، مداعبا لحن الحرية في رحلة أليمة ترسم خطاها "حورية " المرأة المثابرة.

---

[1]:مخلوف عامر : توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، منشورات دار الأديب ، 2005، ص 65 .

[2]:المرجع نفسه : ص222 .

[3]: واسيني الأعرج : إتجاهات الرواية العربية في الجزائرية ، ص87 .

لجأت رواية " حورية" إلى الإغراق في وصف الحياة العامة للجزائر حيث عمد إلى تصوير الجزائر في بيت ريفي جميل قبل أن يهتكه الاستعمار، ضم هذا البيت مجموعة من الشخصيات ، قدم أحداث غير معهودة في حياة المرأة، الأم ، التي عانت القهر وسلب الحرية، فهي شخصية لها أبعادها الحقيقة التي تشغل إطارا زمانيا ومكانيا، طبيعيا.[1]

استطاع الكاتب في الرواية سرد حقائق تاريخية في معادلة صعبة بين الطرفين المختلفين في الطبيعة، بالتعريف بأحدهما من خلال الآخر في قالب فني متخيل يشخص الوطن ذا الدلالة المعنوية المجردة في صورة امرأة ذات ملامح مادية ملموسة وسمات روحية معنوية.

فالبيت الذي تم اغتيال أفراده هو أرض الجزائر، أما الأبناء فهم أبناء الجزائر أما حورية فهي الجزائر.

كما ظهرت سنة 1984 رواية الجازية والدراويش ويعد هذا التاريخ بداية لظهور الكثير من التيارات السياسية التي تريد اقتحام الواقع الجزائري، و الجازية في هذه الرواية تمثل الجزائر، أما الشخصيات الأخرى ترمز للتيارات المتصارعة للحصول على قيادتها حسب نظر كل واحد منهم ووجهته ،جسدت هذه الرواية حرص كل تيار سياسي على مصالحه الخاصة دون مراعاة لمصالح الوطن ومصلحة الشعب وهذا السبب الذي دفع الروائي إلى اختيار الأسلوب الغير مباشر على الأسلوب المباشر لتبلغ الرواية أعلى درجة من الدراما دون الحاجة إلى تدخل الكاتب المباشر في أفكاره الخاصة.[2]

اكتسبت" صورة المرأة "دلالة واضحة في الرواية،فالجازية هي الثورة التي شكلت نقطة مفصلية في تاريخ سياسة الجزائر وعبّر عنها القادة التاريخيون ،الجازية أخرجت الدشرة من سبات القرون أعطتها حياة خاصة بدل حياتها الميتة .

[1]:جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، بيروت، المركز الثقافي، ط3، 1992، ص 60.

[2]:مخلوف عامر : توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، ص99.

شكلت ريح الجنوب فترة من الفترات التي كان فيها الحديث السياسي جاريا بشكل جدي عن الثورة الزراعية في 5 نوفمبر 1970 تزكية للخطاب السياسي الذي كان يلوح بآمال واسعة.[1]

كما سارت أعمال مولود فرعون في خط متواز مع تطور الوقائع السياسية في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي فعبّر الكاتب عن مآسي الشعب وأحزانه و وبؤسه في فترة اليأس والقنوط ، و على الرغم من ذلك , فإنّ بوادر الأمل تلوح كنتيجة للتغيرات التي طرأت على الوضع السياسي في الجزائر.

3-1: الثورة:

نتيجة للظروف التي عاشها الجزائري تفجرت في أحشائه الثورة التحريرية، التي أسالت الحبر الكثير من طرف الروائيين الجزائريين، بحيث حاول الأديب أن يغطي فنيا انجازات الثورة الوطنية ، فنشر مولود معمري في سنة 1965 روايته الشهيرة "الأفيون والعصا" التي تمثل ظاهرة بالغة الأهمية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في عهد الاستقلال وعدت أوّل إنتاج أدبي عن الثورة التحريرية ألفه كاتب ظل وفيا لمبادئ إبداعه، وليس صدفة أن ينشر روايته بعد نهاية المرحلة التاريخية.[2]

سنة 1952 نشر محمد ديب رائد الرواية الجزائرية ثلاثيته المكتوبة بالفرنسية "الدار الكبيرة 1956" أضاف لها الجزء الثاني "الحريق" التي تنبأ فيها بالثورة، ثم أصدر روايته" صيف إفريقي"،التي تميزت بإحكام فني شديد ,تجاوز فيها محمد ديب حدود الزمان والمكان لمواكبة الثورة الجزائرية، عمد على اختيار نماذج من الجزائر اختار التاجر، وصاحب الأرض، الموظف،...) واختار فرنسا بكل ما يمثله استعماره و وجهها الهمجي. [3]

---

[1]: فتحي بوخالفة : محاضرات السنة الأولى ماستر ، ص1.

[2]:المرجع نفسه : ص 2.

[3]:المرجع نفسه : ص 4.

و تمثل الرؤية الأكثر عاطفية تجاه الثورة التحريرية في أعمال مالك حداد ،تشكل رواياته قصائد تأثيرية تظهر فيها من حين لآخر تحريات وطنية ، فكانت إبداعاته في رمتها فترة الثورة لم ينشر المؤلف أي كتاب بعد الاستقلال، دارت رواياته حول الثورة التحريرية، تلمسها من قريب و من بعيد في دوامة من المشاعر والعواطف .

يعتبر الكثير من النقاد رواية "اللاز" أفضل عمل روائي جزائري مكتوب بالعربية ليس بالنسبة للكاتب وإنما بالنسبة للمتن الروائي الجزائري المكتوب بالعربية، ففي روايته اللاز البطل ليس شخصا بعينه، إنما هو الشعب الجزائري والثورة .[1]

تناولت هذه الرواية الثورة الوطنية بعيدا عن الشعارات ،مع هذا كله لا نمتلك إلا أن نقول أن الأدب الروائي العربي في الجزائر قد حاول في معظمه وبمختلف اتجاهاته أن يكون في مستوى الثورة الوطنية ، و نظيف إلى هذه النتاجات الروائية عمل الدكتور عبد المالك مرتاض " نارونور"،" دماء ودموع " فقد حاولت بدورها أن تكون في مستوى الثورة أو على الأقل سايرت منجزاتها.[2]

العمل الروائي يحمل في رحمه موضوعات هي نفسها التناقضات التي صاحبت كل فعل ثوري ، لتغطية الثورة الوطنية التي تعود أساسا إلى التوجهات الفكرية لدى كل أديب .

1 4 : التاريخ:

إنّ حضور التاريخ في أدبنا العربي ليس بالأمر الجديد إلا أنّ الجديد فيه طريقة توظيف معطياته فالكاتب لا يختار شخصياته التاريخية بشكل عشوائي، وإنما ينتقيها معتمدا على الدلالات، ثم إنّ فرصة الكتابة نثرا تتيح مجالا واسعا للتعبير عن الحياة وواقع المجتمعات لأنها تعمل على تقريب المتخيل من الواقع كما تمنح الروائي حرية أكبر لأنّه يبتعد عن قيود الشعر.[3]

[1]:واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائرية، ص 91.

[2]:المرجع نفسه : ص111.

[3]:محمد كامل الخطيب: الرواية و الواقع، ص 29.

الرواية عالم شديد التعقيد إلا أنها شكل أدبي جميل (اللغة هي مادته الأولى والخيال هو الماء الكريم الذي يسقي هذه اللغة فتنمو.....).[1]

ولقد كان الحنين إلى الماضي دافعا ساعد كثيرا في عملية الرجوع إلى الماضي الذي كان له نصيبه في الرواية الجزائرية فالتاريخ لا يكتب مرة واحدة بل إنّ كل فئة تكتب بطريقتها وتفسر أحداثه بما يناسب مصالحها وتتعدد المواقف بتعدد فئات المجتمع والأحزاب السياسية والمذاهب الدينية وقد شهدت الساحة الثقافية العربية محاولات لإعادة بناء التاريخ العربي من جديد بدافع تجاوز التخلف الحضاري والضرورة الملحة لمسائلة الماضي.[2]

والمبدع لا يستطيع أن يبدع من فراغ وإنّما على ركائز يتكئ عليها مثل اللغة والأفكار والعادات والتقاليد والتراث بصفة عامة لأنّ الأديب يقوم بتوظيف التاريخ ليس للتكرار وإنّما لإعطائها أبعاد دلالة وجمالية تخدم فكر وموقف المؤلف فالرواية تحتضن الجمهور وتتبع مسيرته .

إذا تتبعنا مسيرة الكتابات الإبداعية عند الطاهر وطار خصوصا "الشمعة والدهاليز- الوالي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي - الوالي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" نجدها متسلسلة تحمل رؤية فكرية أراد الكاتب من خلالها إعادة بعث حادثة دار حولها جدل كبير في التاريخ الإسلامي من خلال الشخصيات التاريخية وتتمثل في مقتل مالك بن نويرة وهذا ما دفع بالكاتب إلى حشد كل الوقائع التاريخية في إطار روائي مستغلا قدراته على تصوير تلك الوقائع .[3]

فلما كان التاريخ يعيد نفسه بصورة جديدة وكأن الماضي تحول إلى مرآة كبيرة وحاجة ملحة لفهم الحاضر.

---

[1]: عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية"بحث في تقنيات السرد"، سلسلة عالم المعرفة, 1998 ، ص29 .

[2]:مخلوف عامر : توظيف التراث في الرواية الجزائرية ،ص 122.

[3]:ابراهيم عباس : الرواية المغاربية "تشكل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي ، دار الرائد للكتاب ، 2005، ص 41 .

إنّ إدخال التاريخ إلى النص عملية صعبة على المستوى الإبداعي ،لأنّها تتطلب قدرة كبيرة على التخيل و التي تأتي من القدرة على البناء الشكلي المتميز للنص وهذه البنية الفنية هي التي تعمل على تحديد رؤية الكاتب للعالم.[1]

و عليه فإنّ الوعي بالتاريخ يكتسب أصحابه إلى جانب عمرهم وعمر أسلافهم أيضا عمر الأجيال التي لم تأت بعد، لأن الوعي بالتاريخ تتجاوز فائدته الحاضرة وبناء واقعنا المعاش إلى التأثير في المستقبل القريب.[2]

1-5:التراث:

لقد كانت هناك محاولات كثيرة و وظفت التراث والتأصيل لفنون أدبية حديثة " كما نعتقد أنّ النص الأدبي بقدر ما هو في حاجة إلى ذات مبدعة وزمن إبداع لكي يرى نور الحياة بقدر ما هو مشروط بوجود ذات قارئة ،وزمن للقراءة حتى يعيش و يخلد".[3]

فكان التراث المحلي والغالب وكانت حرب التحرير هي الصيرورة الأولى التي ترسم في الأذهان ،حيث انتقلت الكتابة الروائية لتطال التراث العربي الإسلامي ونظرا لطبيعة المواضيع إلى تناولتها الرواية أعادت بعث عناصر روائية بارزة في تاريخ الآداب العالمية ، التراث لا يرتبط بفترة زمنية محدودة حاضر بكثافة له امتداده حاضرا وماضيا لا يأتي للإعادة بل يشكل خيوطا أساسية في النسيج العام للبناء الروائي فالتراث يستدعي التجاوز لخلق نص جديد مغاير.[4]

لكن ظاهرة توظيف التراث في الرواية والبحث فيه أدى بالباحثين إلى أن كتب التراث تنطوي على ألوان كثيرة من القصص الدّيني والقصص البطولي ....فأصبح التراث ينحوا منحا جماليا لما ينطوي عليه هذا التوظيف من بعد إيديولوجي سياسي

---

[1]:سعد يقطين : تحليل الخطاب الروائي ، لبنان ، المركز الثقافي العربي ، ط2 ، 1993 ، ص 248.

[2]: سليماني فطيمة :الشخصية التاريخية في الرواية الجزائرية و هوية الانتماء ،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير،أدب حديث و معاصر،إشراف ،د.سعيدي محمد ، 2010-2011 ، ص 156

[3]:محمد بشير بويجرة : بنية الزمن في الخطاب الروائي "1970 - 1986"، منشورات دارالأديب ،ج2 ، ص :3

[4]:مخلوف عامر : توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، ص 99.

انطلاقا من القراءة التي يتبناها الكاتب وظف التراث المتعلق بحرب التحرير ثم التراث العربي الإسلامي والتراث السردي.[1]

بحيث رفضت الرواية العربية في العقود الأخير تبعيتها للرواية الغربية فكفت عن تقليدها " بدأت تبحث عن أصالتها وهويتها الخاصة بعد أن تعلمت منها أصول النص والتقنيات السردية المعاصرة وحققت الرواية العربية هذه النقلة الهامة عن طريق انتمائها وأصالتها بالعودة إلى التراث القصصي والسردي و الإفادة منه في البنية العامة وتصوير الشخصيات واللغة والسرد بالإضافة إلى الغوص في البيئة المحلية وتوظيف التراث الشعبي من حكايات وأغان وأشعار وأمثال...يضاف إلى ذلك مساهمة الرواية العربية في إعادة قراءة التراث ورصدها للمواقف المتعددة منه.[2]

6-1:الأسطورة :

وظفت الرواية الجزائرية من خلال تعاملها مع التراث الأساطير وعرفت الأسطورة بشكل موسع ومن الأدباء الذين وظفوا الأسطورة عبد الحميد بن هدوقة حيث ساهم هذا الأخير في إثراء الرواية الجزائرية بالأسطورة التي تزيد من عمق الدلالة والإيحاء كما يضفي عليها الطابع الفني اشتغل الكاتب على الأسطورة أولا لغرض فني وثانيا لغرض إيديولوجي لا برازا الأفكار السياسة و الاجتماعية وإدانة الواقع كما فعلت أحلام مستغانمي .

اهتم عبد الحميد بن هدوقة بالقضايا الفكرية مسجلا تطورات اجتماعية مضيفا عليها جوا أسطوريا وأكثر الأساطير حضورا الجازية وهي أسطورة بقيت في الأذهان الشعبية ففي معناه الشعبي امرأة بديعة الجمال وخارقة الذكاء وكان الهدف من توظيفها إضافة دلالات جديدة .[3]

---

[1]: المرجع السابق : ص98 .

[2]:محمد رياض وتار : توظيف التراث في الرواية العربية ، دمشق ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 2002 ، ص 33 .

[3]:عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية ، ص 11.

أي إخراجها من سياقها الاجتماعي والتاريخي والإشتغال عليها بصفة مبدعة والوصول إلى تأسيس خطاب روائي جديد حول الأسطورة ذاتها للكشف عن قضايا اجتماعية وسياسية معاصرة.

الرواية تتضمن العديد من القضايا والموضوعات كالأساطير فتتشكل أمام القارئ تحت ألف شكل، مما يعسر تعريفها تعريفا جامعا مانعا.[1]

فرواية "الجازية ودراويش" استطاعت أن تخلق عالم أسطوري خرافي في القرية عبر الفتاة الساحرة التي ما رأت عين جمالها ولا سمعت إذن كلاما ما أحلى من كلامها.

استطاعت الروائية أحلام مستغانمي أن تستلهم من الأسطورة مما خدم نصها "فوضى الحواس " فاستعدت أسطورة سندرلا وتحيلنا الرواية إلى الذاكرة التي تقيم أحداث السرد إلى نوع من الخيال المقترن بالأسطورة .

والطاهر وطار هو الآخر لا يفصل بين التيار السياسي والاجتماعي لعلاقتهما الوطيدة والمتفاعلة والمقامة أساسا على التأثر والتأثير، تتخللها لمسات أسطورية (اللاز- الزلزال ....) الممتد فيها الرمز الأسطوري متنوعة تمثل الإيديولوجية الماركسية الشيوعية التي تحضر في النص حائرة مترددة بين طموحاتها العلمية الطبقية وما يفرضه الواقع الإيديولوجي والاجتماعي الجديد من أطروحات مناقضة للطرح الماركسي .[2]

[1]:المرجع السابق: ص12.

[2]: واسيني الأعرج: الطاهر و طار و تجربة الكتابة الواقعة ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986 ، ص254.

2 / أشكالـــــه:

لقد تميز الأدب الجزائري عامة و الروائي خاصة بجملة من الخصائص و هذا التميز أنبتته صيرورة تاريخية اندمجت فيه الروح الشرقية بالثقافة الفرنسية أخذت أشكالا حوت أدبا شكل امتدادا يحمل في طياته الروح الجزائرية نشأت مع اتجاهات مختلفة و تعابير مختلفة و متباينة .

فلم يكن للاستعمار تأثيره المشابه على التعليم و الثقافة و ضمن كل هذه الظروف بكل تناقضاتها كان طبيعيا أن يفرز وضع ثقافيا مهزوم يفتقد إلى كثير من مقومات و الركائز ذلك أن البنية التحتية أفرزت هذه البنى الفوقية لم تكن قد وصلت بعد إلى مرحلة التطور الكامل .[1] فمارست التبعية و التقليد .

2- 1 : التقليد :

استلهموا أفكارهم من ظروف ثورية لكن في رؤية محدودة فمثلا الفن القصصي الذي ورث رصيدا ثوريا جادا و مشرقا كان عليه أن يحقق قفزة كمية و نوعية ، الشيء الذي لم يتم في ظل الظروف المعاشة فكانت المجموعات القصصية و حتى الكتابات الأخرى التي وجدت في هذه الحقبة التاريخية لم تضف جديدا بقدر ما حاولت اجترار الماضي و حتى الذين تصدوا لمشاكل ما بعد الاستقلال بشتى ظروفها و بالتالي لم يضيفوا الكثير إلى الرصيد القصصي في الجزائر .[2]

كما كانت هناك محاولات اقتدت آثار و أعمالا غربية و في هذا الصدد يذكر جان ديجو أنه يمكننا فيما بين سنة 1920 و سنة 1948 نعثر على محاولات قليلة في الكتابة الروائية ، فقد ظهرت أوّل محادثة لعبد القادر حاج حمو بعنوان" زهرة امرأة عامل المناجم" و في هذه الرواية يقلد الكاتب تقنية الرواية الطبيعية عند إميل زولا .

---

[1] :واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ،الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1989 ، ص 74 .
[2] :المرجع نفسه ، ص 86 .

كذلك كتب عبد القادر فكري حوارا قصصيا ذات الطابع السياسي بعنوان"زقاق الحديقة " عام1933.

وفي سنة 1936 كتب محمد ولد الشيخ رواية " مريم وسط النخيل " هذه النصوص شكلت متنا روائي جزائري لكنها تميزت بتقليد واضح لأعمال غيرهم . لكنها قدمت الجزائري في صورة استهلاكية ، كما أن النص لم يتلخص في كتابة مغامرات بسيطة فبقية هذه الأعمال في خانة المحاولات . عدّ نص أحمد رضا حوحو " غادة أم القرى " إرهاصا لميلاد الرواية الجزائرية العربية الحديثة ، إلا أنّ المحاولات الإبداعية الأخرى من لدن روائيين جزائريين دون أن يتمكنوا من الولوج فعلا لعام الرواية بما تقتضيه من بناء فني .[1]

ألف عبد المجيد الشافعي " رواية الطالب المنكوب " 1951 ، كما ألف نور الدين بوجدرة " الحريق " 1957 محمد منيع رواية " صوت الغرام " 1967 غير أن هذه المحاولات تميزت بكثير من الضعف الفني جعلها تبقى مجرد محاولات قصصية تندرج ضمن ما يطلق عليه إرهاصات الرواية العربية في الجزائر افتقدت الشروط الفنية التي يقتضيها جنس الرواية .[2]

عد واسيني الأعرج رواية " غادة أم القرى " أول عمل روائي مكتوب بالعربية قال عنها أنها ظهرت كتعبير عن تبلور الوعي الجماهيري بالرغم من آفاقها المحدودة .[3]

أشار أيضا واسيني الأعرج و رمضان حمود عن الجهود الأدبية لأعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أنهم بلغوا الأمانة التي استودعت في أيديهم إلى أيدينا بغير خيانة و لا تقصير لا أكثر لا أقل و الأمانة هي اللغة العربية لا غير .

معظم الذين كانوا يتعاطون الفن القصصي كانوا ذوي ثقافة أزهرية أو قروية أو زيتونية الأمر الذي لم يحدث القفزة النوعية و الكمية المرتقبة ، فالمكابح التي كانت

[1] :عبد الله الركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث ، الدار العربية للكتاب ، الجزائر ، 1974 ، ص 120 .
[2] :واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، ص 71 .
[3] : المرجع نفسه ، ص 88 .

جمعية العلماء المسلمين قد وضعتها في الطريق قبيل الاستقلال لم تسهم في تطور هذا الفن القصصي .[1]

فكان هذا الوضع له أثره على النقد فجعله يسير على الوتيرة التي مشت عليها الأعمال الإبداعية و لم يساعد على اكتشاف فعالية كثير من المواهب الواعدة و إيقافها على أقدام ثابتة و أرضية محلية. ربطت جمعية العلماء المسلمين الأدب و النقد بأهدافها الإصلاحية والتربوية حيث كانت تريد المحافظة الهوية الوطنية بعيدا عن أي إضافة أو انفتاح لما كان في المشرق العربي الذي يشهد نهضة أدبية و فكرية.

يرى نجيب محفوظ أن لهذه المحاولات بذور ظهرت بعد الح ع 2 يمكن أن نلحظ فيها بدايات ساذجة في موضوعاتها أو في أسلوبها و بناءها الفني و يشير إلى قصة مطولة بعض الشيء و يقصد بها (غادة أم القرى) التي تعالج وضع المرأة في البيئة الحجازية أما الطالب المنكوب لعبد الحميد الشافعي ، فيرى أنها رومانسية في أسلوبها و موضوعها و مضمونها .[2]

ناقلة القول الظروف القاسية هي التي أرغمت الواقع الأدبي أن يمشي بخطى رتيبة لم تساعد على التغيير الجذري للذهنية البدائية و الرؤية الميتافيزيقية ، ولا بلورة الوضع الثقافي بحيث يمكنه أن يحقق المطلوب منه تحقيقه ، فقد كان جد طبيعي أن تغيب الرواية في تلك الحقب التاريخية ، فعلى الرغم من المحاولات إلا أنها بقيت متحفظة على الفكري أو الفني مثل صوت الغرام " لمحمد منيع " التي استطاعت إلى حد ما تمزيق الصمت المضروب حول الرواية في الجزائر لكن لظروف غابت الرواية عن الساحة الأدبية من جديد حتى 1970 محلة جديدة.[3]

[1] : عبد المالك مرتاض ديوان: فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931 – 1954 ،الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط1 ، 1989 ، ص 20 .

[2] : عبد الله الركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث ، ص 119 – 120 .

[3]: واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، ص 89 .

يقول مخلوف عامر: « منذ بروز الحركة الوطنية كانت الأولوية دوما للخطاب السياسي الإيديولوجي فلم يكن أدباء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يهتمون بالناحية الجمالية بقدر ما كانوا يهتمون بالدلالة السياسية و الاجتماعية في كتاباتهم ».[1]

2 – 2 التجديد:

يعد نص غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو إرهاصا لميلاد الرواية الجزائرية العربية الحديثة ثم توالت بعدها الأعمال الإبداعية لكنها افتقدت للشروط الفنية لجنس الرواية مما جعل النقاد و المؤرخين للأدب الجزائري الحديث يرجعون تاريخ ميلاد الرواية الجزائرية إلى " السبعينيات" و هو تاريخ صدور رواية " ريح الجنوب " لعبد الحميد بن هدوقة .

هذا مع العلم أنّ هناك مثلا في القصة القصيرة تجارب رائدة بدأ أصحابها يسيرون نحو كتابة الرواية كتطور جد طبيعي يجسد رحلتهم الأدبية و الفكرية و الفنية.[2]

ورواية " رمانة " لطاهر وطار على الرغم من أنها لم تصل للمكان في البناء الشكلي والفني لأن الظرف التاريخي بكل مفارقاته الاقتصادية السياسية و الاجتماعية و الثقافية زيادة على ثقافة الأديب نفسه و ظروفه الخاصة و الموضوعية لم تكن لتساعد و لا تسهم في ظهور الرواية لكنها خلقت الأولى التي تبنى عليها أعمال أدبية جادة فيما بعد خصوصا مع التحولات الديمقراطية في بدايات السبعينيات متضمنة تغيرات اجتماعية و تحولات ديمقراطية بكل انجازاتها الثورية بل كانت الوجه الآخر الفني طبعا لهذه التحولات و هذا ما يجعلنا نقول أن الرواية المكتوبة بالعربية بعد الاستقلال كانت بمثابة الوليد الشرعي الذي أنجبته التحولات الثورية بكل تناقضاتها .[3]

وإذا عدنا إلى سبب تأخر الرواية المكتوبة بالعربية لربطنا هذه الأعمال الروائية بالعوامل التاريخية الناتجة عن التواجد الاستعماري آنذاك لكن في الوقت نفسه و ضمن

[1]: عامر مخلوف : الرواية و التحولات في الجزائر ، دمشق ، منشورات اتحاد الكتاب ، 2008 ، ص 88 .
[2] : واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، ص 90 .
[3] : المرجع نفسه ، 91 .

هذه الحقيقة ظهرت أعمال روائية مكتوبة بالفرنسية و هي ولادة استثنائية نتيجة ظروف استثنائية عاشها أفراد إستثنائيون احتكوا بالثقافة و الفكر الغربيين .[1]

تمخض عنه إنتاج إبداعي اتخذ اللغة الفرنسية كوسيلة توصيل و تعبير عن هموم الإنسان الجزائري فكانت هاته الأعمال الروائية سباقة تاريخيا في استنباط الواقع الجزائري و ما كان يعيشه الجزائري من مخاض سياسي اجتماعي عسير ، و تعتبر سنة 1950 سنة ميلاد الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي على يد كوكبة من الروائيين الجزائريين الذين تعلموا في المدارس الفرنسية .

وأهم ما ميز هذه الكوكبة أنهم تحصلوا على شهرة كبيرة ونصيب وافي من الثقافة الفرنسية و كذلك مستوى نقدي و إعلامي و إقبال القراء على أعمالهم الأدبية لارتباطهم بقضايا الوطن رغم توجههم الفرنكفوني ، اعتمدوا الأسلوب الواقعي التصويري متجاوزين الرومانسية التي ميزت أعمالهم ليصبح حقل الرواية العربية الحديثة أوسع يقول د/غيني هلال: « في أوائل القرن 20 حيث تخلصت من الاعتماد على التراث العربي القديم و بدأ الوعي الفني يلتمس جنس القصة من مواردها الناضجة من الآداب الأخرى ».[2]

ألف مولود فرعون " ابن الفقير Le Fils Du Pauvre ثم رواية " الأرض و الدم " و رواية الدم Le Terre Et Le Sang عام 1953 و عام 1957 نشر روايته الدروب الوعرة ثم نشر يومياته 1969 ، مولود فرعون رسائل إلى الأصدقاء . و يعد مولود فرعون أحد أكبر الكتاب ذي التعبير الفرنسي شهرة فروايته " ابن الفقير " أوّل عمل أدبي يبدأ به كل تلميذ جزائري اطلاعه على العمل الأدبي الوطني و سيظل ممثلا نموذجا لجيله جمع فعلا في ذاته عالمين مثقفين .[3]

[1] : المرجع نفسه ، ص 111 .
[2] : أحمد سيد محمد :الرواية الانسانية " تأثيرها عند الروائيين العرب "محمد ديب ـ نجيب محفوظ "،الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،(د .ط) ، ص 236 .
[3]: بنراج سفيطلا : مولود فرعون و إبداعه ، الجزائر، مجلة التبيين ، جمعية الحافظة الثقافية ، العدد 8 ، 1994 ، ص 16 .

استهل أول تجربة أدبية له (ابن الفقير بكلمات أنطوان تشيكون ستعمل للآخرين الآن وفي شيخوختنا دون أن تعرف سببا للراحة و حينما تحل ساعتنا سنموت بخشوع و سنقول هنالك في لحدنا بأننا تعذبنا و بكينا و تجرعنا حينذاك سيهبنا الله من لدنه رحمة).[1] و في هذه الفترة أيضا نشر كاتب ياسين " نجمة " 1956 و مالك حداد روايته " الانطباع الأخير " سنة 1958.

كان القلم النسائي أيضا حاضرا ضمن هذه الكوكبة أمثال آسيا جبار نشرت " العطش " 1957 لتتبعها رواية " الجازعون " 1958 رواية " أبناء العالم الجديد " 1962 فحققت تلك الروايات و أخرى انجازات فنية ضخمة على المستوى المحلي و العالمي ساعدها على ذلك انفتاحها على الانجازات الروائية العالمية .

وارتبطت عضويا بالنضالات اليومية التي تقودها الجماهير الكادحة و الواقع اليومي بكل جوانبه و على ضوء هذه الظروفحقق المتن الروائي قفزة نوعية على المستوى الثقافي بحيث حاولت جادة الخروج من ضيق الرؤية إلى آفات أكثر انطلاقا و تقدما ، وعيا و إشراقا في وقت غابت فيه الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية عن الساحة الأدبية .[2]

الرواية المكتوبة بالعربية بقيت تسير على وتيرتها الثقيلة إلى أن جاء الطاهر وطار بإبداعاته ليخرج الفن القصصي بما فيه الرواية من التابوت و المضامين المستهلكة فمع بداية السبعينيات شهدت نهضة كبيرة مع ولادة " اللاز " كإنجاز فني جريء و ضخم يطرح بكل واقعية الثورة الوطنية .[3] نضيف أيضا إلى هذه النتاجات الروائية عمل د / مرتاض " نار ونور " " دماء و دموع " التي احتضنت بدورها الثورة أو على الأقل تساير منجزاتها .[4]

و يكفي أنها كانت توجهات صادقة مثلما كانت ثلاثية محمد ديب ففي الوقت تنبأت فيه الأولى بالثورة الزراعية تنبأت الثانية بالثورة الكبرى .

---

[1] : منتديات الساخر.
[2] : واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 81.
[3] : منتديات الساخر.
[4] :واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية ، ص 91 .

استطاع الأدب الروائي في الكثير من نماذجه حتى ولو جاءت متأخرة إلا أنها رسخت الفن الروائي في الحقل الثقافي و الإبداعي ، فتأتي ثلاثية محمد ديب في مقدمة الأعمال التي تؤرخ لمولد الرواية الجزائرية فمثلت مذكرات الشعب الجزائري ، كما وصفها أراغون أو هي الجزائر نفسها بأسلوب و جيز معبر مشبع بالمشاهد ، فكانت من" سيذكر البحر " التي صدرت عام 1972 انقلابا جماليا جزائريا تولد عن خروج محمد ديب من عباءة بلزاك من أجل صياغة طرق كتابة رؤى جديدة قائمة على الحكم .[1]

و تقوم الرواية على ركيزتين هم: الرواية المتمثلة بتوافر العناصر الفنية من حدث وشخصية و زمان و مكان و من طريقة قص لنسج تلك الرواية و على العناصر و تقديمها بصورة فنية ، وعلى الركيزة الأولى يطلق متن الرواية و على الثانية أسلوب السرد ، وما البناء الفني للرواية إلا كيفية بناء تلك العناصر و العلاقات المتداخلة فيما بينها بواسطة السرد بأساليب و وسائل من وصف و حوار.[2]

ويمكن القول أن الحركة الأدبية في الجزائر بلغت درجة من النضج و التميز في الكتابة الروائية على الرغم من عمرها الأدبي الثري يعد قصيرا مقارنة بالرواية العربية في نشأتها و تطورها .[3]

أكد الطاهر وطار على أن التجديد ليس قضية هامشية تتعلق بالشكل الخارجي لكنها قضية فلسفية تقوم في الأساس على نظرة الإنسان إلى الوجود و المجتمع و من هنا كان التحول في نظرة الإنسان إلى الواقع الذي يعيش فيه أصلا لكل تحول فني. [4] يتطلب من

[1] :عايدة أديب بامية : تطور الأدب القصصي الجزائري ، تر / محمد صقر ، ديوان المطبوعات الجامعية و الرؤى الدلالية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ط1 ، 1990 ، ص 115 .

[2] : عبد الله إبراهيم : المتخيل السردي مقاربات نقدية في التناص ، الجزائر ، 1982 ، ص 66 .

[3] : مخلوف عامر : توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، منشورات دار الأديب ، 2005 ، ص 27 .

[4]: واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، ص 94 .

الروائي خلق نماذج روائية يحاول فيها معالجة أفكار و قضايا حساسة لبناء معمار روائي أصيل ترقى به الرواية الجزائرية إلى مطاف النماذج العربية و العالمية.[1]

لقد حاولت الرواية الجزائرية الجديدة خلق واقع مفارق للواقع المادي الذي قامت عليه الرواية الواقعية فتحول هذا الواقع في الرواية الجديدة إلى بحث واقع خفي ليس ذلك الواقع الذي يراه كل الناس.

[1] : بشير بويحرة محمد : بنية الشخصية في الرواية الجزائرية ، منشورات دار الأديب ط2 ، 2006 ، ص 106 .

المبحث الثاني: فكرة الانتماء في الخطاب الروائي الجزائري.

1 / تجليات الانتماء الدّيني:

يرتبط الدّين بالشخصية العربية على صعيد الهوية و بالتطور الاجتماعي العربي و على صعيد الإيديولوجي و لأن الهوية الوطنية أو القومية و حركة الصراع الاجتماعي هما في نهاية المطاف جزء من منظومة الحقل السياسي ، و عليه لا نستطيع تجاهل علاقة الدّين بالسياسة ذلك أنّ المسألة الدّينية من المواضيع المطروحة أمام تراجع الوازع الدّيني للفرد .

لقد احتل الخطاب الدّيني موقعا بارزا في الخطاب السردي العربي و الجزائري فارتبط في نصوص الطاهر وطار بالحركة الإسلامية ، ينطلق الكاتب بنقد الفكرة الدّينية التي ساهمت في بلورة الحركة الدّينية الإسلامية كتيار سياسي إيديولوجي ضد مصالح اجتماعية تتنافى مع جوهر الإسلام ذاته .[1]

داخل هذا الإطار ارتبط استخدام الدّين بتحقيق المشروعية السياسية ، وقد أسهم في هذه العلاقة التناقضات و التراكمات الحاصلة في المجتمع الجزائري فالسياسة تتخذ من الدّين عمقا ذاتيا و سندا إيديولوجيا لنشر كلمتها . [2]

غير أنّ هذه الحركات الدّينية الإسلامية التي نمت تحت مظلة السلطة تحولت في النهاية إلى صراع من أجل الحكم.

كانت ظاهرة الإسلام السياسي قد طبعت النصوص الروائية لدى الطاهر وطار فيعرض الكاتب جانبا من الظاهرة التي لا تعرف حدودا لتطرفها وانغلاق فكرها.

لكن الكاتب اكتفى بتصوير الظاهرة دون الغوص في تفسير و تحديد أبعادها المختلفة .

---

[1]:محمود أمين العالم: الدين و السياسة، مجلة الحداثة، ص 22.

[2]:لطيفة قرو:هاجس الراهن في ثلاثية الطاهر و طار "الشمعة و الدهاليز ـ الوالي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي ـ الولي الطاهر ير فع يديه بالدعاء"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب المعاصر،كلية الآداب واللغات ،إشراف د.رشيد قريبع، 2009-2010 ، ص 160

[3]: المرجع نفسه : ص172.

كما عمد الطاهر وطار إلى توظيف التصوف في النص الروائي متسما بطابع الرمز والذي أصبح مظهر من مظاهر الكتابة الروائية، إذ أضفى مسحة جمالية على الفن الأدبي عامة و الرواية خاصة.[1]

2/ تجليات الانتماء الإيديولوجي:

ارتبطت الرواية الجزائرية بالإيديولوجيا ارتباطا وثيقا مثلها في ذلك الرواية المكتوبة بالعربية التي سايرت التطورات الاجتماعية ،انطلاقا"من رؤية إيديولوجية صراعية تبحث عن نزعة الواقع المستحدث الذي هو واقع مليء بالتناقضات وظهرت كتابات تركز على قراءة الواقع قراءة إيديولوجية "سياسية "محاولة تجاوز الواقع لأنها مرتبطة به حيث تظل مصرة على الخطاب السياسي".[2]

العمل الأدبي مرتبط بسياقه الإيديولوجي لا يمكن لكتابة أن تنطلق من فراغ إيديولوجي لأن الأديب هو بالضرورة انعكاس ايجابي لحركة الواقع وما حدث بالنسبة للرواية الجزائرية المعاصرة ،إنّما هو في حقيقته ترجمة أمينة لهذه المقولة لذلك فإننا حين نقرأ الحصاد الروائي لهذه المرحلة على الرغم من تنوع مذاهبه واتجاهاته نجد أن قضايا السياسة تحتل مكان بارزا في الخطاب الروائي ومضامينه فنجد هذه السمات حاضرة في الروايات المكتوبة بالفرنسية والمكتوبة بالعربية على حد سواء مما يؤكد غلبت الرؤية السياسية على الإنتاج الروائي الجزائري .

العناية بتصوير قضايا السياسة نجدها مثلا عند الطاهر وطار الذي حاول في كتاباته الروائية رسم خط تاريخي للتطور الإيديولوجي في الجزائر، فقد انتقل من خطاب الثورة وتصوير ما حدث في مرحلة النضال مع المستعمر الفرنسي إلى التعبير عن مشكلات ما بعد الاستقلال وإدانة أساليب القهر السياسي والمنع من تناول أمور مجتمعة وذلك في إطار تقديم وعي الطبقة المثقفة بمسألة السلطة وتصويرها للعلاقات الاجتماعية والثقافية القائمة في المجتمع أو تلك التي ينبغي أن تقوم مستقبلا.[3]

---

[1]:واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، ص107.

[2]:.لطيفة قرور:هاجس الراهن في ثلاثية الطاهر وطار، ص 140 .

[3]:علال سنقوقة: المتخيل و السلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة ،الجزائر ،منشورات الاختلاف ،ط1، 2000 ، ص 14 .

جاءت "الشمعة والدهاليز" لطاهر وطار لتعكس هذا الطرح على المتخيل الروائي رغم أنّها أكدت على الخطاب السياسي الواحد بطرق وأساليب ومستويات مختلفة.

إن الفكر الإيديولوجي الموجود على مستوى المتخيل الروائي يحيل إلى الواقع الخارجي وتأثيره المباشر في النص الروائي" فالفنان يستوعب السياسة و الاجتماع والاقتصاد في وحدة إيديولوجية كاملة ،لكنه يعود إلى صياغة العمل الفني في المستوى الذي يخاطب كينونة الإنسان في أغواره العميقة.[1]

لذلك عمد الطاهر وطار إلى إبراز الاستمرارية التاريخية السياسية التي أثارت مختلف النزاعات الإيديولوجية الحديثة والمرجعية ومعظم المشاكل التي تخبط فيها المجتمع الجزائري بعد الاستقلال ،لأنّ كل طبقة تريد أن تقرض إيديولوجيتها.

ركز الطاهر وطار في "الشمعة والدهاليز" على الصوت الإيديولوجي الواحد في بناءها السردي إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور رؤى إيديولوجية متباينة خاصة في نهاية الرواية.

تحولت"الشمعة والدهاليز"إلى قراءة في التاريخ الوطني وواقع السلطة الجزائرية يشعر القارئ خلالها بحضور مكثف للماضي في الحاضر.

حضور الإيديولوجيا ليس شيئا غريبا عن النص الروائي ،لأنها جزء أساسي من عالمه التخيلي ،إن الرؤية الإيديولوجية في روايات الطاهر وطار قد غلبت عليها الرؤية الفنية الجمالية خاصة في رواية "الوالي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" التي تعتبر من أكثر النصوص السردية امتزاجا بالرهن والتصاقا بالواقع الإيديولوجي.[2]

في رواية "الشمعة والدهاليز"استند الكاتب على القيم السياسية الاشتراكية محاولا تكوين رؤية إيديولوجية معارضة للسلطة ، تهدف إلى فضح جذور الفساد وإبراز التيارات التي كانت طرفا في العنف و الذي شكل عناصر إيديولوجية.

---

[1]:واسيني الأعرج:الطاهر و الطار و تجربة الكتابة الواقعية ، ص65.

2 :لطيفة قرور: هاجس الراهن في ثلاثية الطاهر و طار ، ص 146 .

3 /تجليات الانتماء القومي:

إنّ العمل الأدبي هو تعبير عن وجهة نظر بالعالم عن طريق النظر والإحساس بعالم الكائنات والأشياء الملموسة والأديب هو الإنسان الذي عثر على الشكل المناسب لخلق تفسير لهذا العالم.[1]

لم تنزح الرواية عند الطاهر وطار بدورها عن الواقع و رصد تحولاته ، ففي روايته "الوالي الطاهر يدعو إلى مقامه الزكي" استند على تعقب الحركة الإسلامية انطلاقا من الحركة الوهابية بشبه الجزيرة العربية ، فالوالي الطاهر لم يظهر فقط في الجزائر وإنّما في مصر، أفغانستان ...وهنا وقف الكاتب على الأحداث الدامية وغير ذلك مما يدخل ضمن الراهن.

المتن الروائي يستقطب إشكاليات راهنة بعواملها الواقعية المتخلية و إزاء تهافت الواقع السياسي في الجزائر والعالم المعاصر، خاصة فترة الحداثة التي شهدت جملة من الأحداث الساخنة والتحولات المتسارعة المحلية والعالمية فقد أصبحت قضايا الفكر ومشكلات الايديولوجيا هي المحور الغالب عند كثير من كتاب الرواية العربية المعاصرة ولاسيما المبدعي تيار الحداثة.[2]

توضح هذه الإبداعات مدى جرأة الرواية في التعريف بالواقع وملامسة قضاياه عن كثب مما يؤكد يقضه الوعي بما يحدث.

حاول الكاتب أن يستوعب أهم القضايا السياسية التي تهيمن على الساحة العربية والعالمية في لوحة إبداعية طغى عليها انتماءه القومي العربي بشكل بارز.

ويتحلى بعدها الدلالي إلى صور الاستلاب التي ترسخت في ذهنية الشعوب العربية وتضخم انعكاساتها ، حيث نجدها مثلا رواية "الوالي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" تطرح موضوع العلاقة بين الذات والآخر، وما يسود بلدانه من قيم الحرية والوحدة

[1]: عمرو عيلان : الايدولوجيا و بنية الخطاب الروائي " دراسة سوسيو بنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة ، ص 40 .

[2]: المرجع نفسه : ص 41.

والعدالة، مقابل صورة العالم العربي الذي تتوق شعوبه إلى تجسيد تلك المثل في واقعه الذي يعيش التأزم بكل جوانبه.[1]

عبّرت هذه المفارقة بين الضفتين حرس الكاتب على التركيز على مناخات التوتر التي تطبع علاقة الشعوب العربية بأنظمتها السياسية ورصد ما يخوضه مثقفوه من صراع فيقدم الكاتب هذه القراءة في الواقع العربي رغم ما يطغى عليها من سوداوية انعكست عبر المتخيل في حالة الظلام التي اجتاحت المنطقة العربية فاعتمدت على استقراء التاريخ العربي واستنطاق الذاكرة .

لقد تعددت مظاهر انكسار الذات العربية في النص التي أحبطت الكثير من التطلعات فمعظم كتاب الرواية العربية تربوا وتعلموا في عصر الاستعمار،عصرالثورات والانقلابات ثم استيقظ على انهيار الحلم القوي وغياب الديمقراطية والهزائم المتلاحقة عسكريا وفكريا وقوميا ، ...بالإضافة إلى تمزق الحاصل في صفوف المجتمعات .[2]

إنّ عملية الإبداع عند كثير من أدباء هذا الجيل ومثقفيه تتشكل من واقع اجتماعي ملبد بالعواصف والأعاصير والزلازل والبراكين و عليه نجد معظم كتاب الرواية يتجهون بجرأة نحو كشف مواطن السقوط ومراكز العنف في الواقع ، هذا يجعل الروائي يدعوا إلى ضرورة بعث فكرة القومية العربية لدى الشعوب .

الكثير من النصوص الروائية دعت إلى الوحدة بين الشعوب العربية لأنها منفذ التحول نحو أمة فاعله في التاريخ قادرة على حماية نفسها وتطوير قدراتها الحضارية كما أشارت في أكثر من موضع إلى العمل والاجتهاد والتعاون بين الدول العربية من أجل الخروج من حالة الخمول والعودة إلى قيم التربية الإسلامية والوطنية الصحيحة .

ارتبطت الرواية عند الطاهر وطار بجملة من القضايا المختلفة تتعلق كلها بالراهن العربي كالنزاعات الطائفية في بلدان المغرب العربي وتحولت إلى انتفاضات شعبية

[1]:لطيفة قرور : هاجس الراهن في ثلاثية الطاهر و طار، ص150.
[2]: المرجع نفسه : ص 152.

عنيفة تحركها أياد خفية ، كما تناول النص في إطاره العام معاينة الراهن العربي بتجلياته المختلفة ، أيضا يطرح الروائي قضية الوحدة الإفريقية واحتلال العراق وقضايا الإنسان و غيرها مما يدخل ضمن قضايا الراهن العربي . [1]

الكاتب لا يطرح هموم الجزائري فحسب و إنّما أن يطرق بعض هموم الإنسان العربي غير أنّ الكاتب من خلال عرض هذه القضايا ، التي تتعلق كلها بالراهن العربي ، يكتفي بوصف الأحداث و تحليلها لأنّه كان يهدف إلى إبراز العنف ، و الدعوة إلى المصالحة والوحدة العربية للخروج من هذا النفق المظلم.

جسد الروائيون الجزائريون انتماءهم عبر الانفتاح على الراهن العربي بتناقضاته و طرحه للقضايا التي تهيمن على الساحة العربية بحكم زخم الواقع و تعقد مشكلاته .

[1]: المرجع سابق، ص 152.

الفصل الثاني: فكرة الانتماء في الخطاب الروائي الجزائري ثلاثية "محمد ديب" أنموذجا .

ــ ملخص الثلاثية (الدار الكبيرة ـ الحريق ـ النّول).

المبحث الأوّل : مضامين الخطاب الروائي الجزائري "ثلاثية محمد ديب" أنموذجا .

1 ـ المضمون الاجتماعي.

2 ـ المضمون السياسي.

3 ـ الثورة.

4 ـ الأرض.

المبحث الثاني: الانتماء في الخطاب الروائي الجزائري ثلاثية "محمد ديب " أنموذجا .

1 ـ تجليات الانتماء الدّيني .

2 ـ تجليات الانتماء الإيديولوجي.

3 ـ تجليات الانتماء القومي (العربي).

ـ ملخص الثلاثية :

عرفت الجزائر نشاطا سياسيا و بعثا روحيا عظيما عاصره محمد ديب كما شهد فترة عصيبة من تاريخ الجزائر، فقد جاءت أزمات الحرب العالمية الثانية لتزيد من بؤس البائسين و تكشف عن وجوه العتاه الظالمين، و عاش محمد ديب في إحدى الدور الكبيرة في مدينة تلمسان و التي استوحى منها ثلاثيته و فتح بها ميدان الرواية المغربية باللغة الفرنسية .[1]

لذا اقترن اسم محمد ديب بثلاثيته الشهيرة و لا يمكن الوقوف عند هذا العمل الإبداعي دون أن نذكر المصادر التي تـثر بها الكاتب، فنجد أننا أمام سيرة أقرب إلى تجربة الروائي ، فالفضاء الروائي فيها يكشف تلقائيا لكم معلوماتي و رمزي هائل يحيلنا إلى مرجعية اجتماعية سياسية ... في سياق اجتماعي و تاريخي معين لترصد ملامح الانتماء انطلاقا من البيئة أولا و الشخوص الروائية ثانيا لينفي خروج الرواية الجزائرية من السياق العام مهما كانت الرواية التي تطل منها.[2]

و بكثير من البراعة و الصدق الفني عبرت " الدار الكبيرة " و " الحريق " و " النّول " عن نفس ملحمي قوي ينسجم و عمق المأساة الإنسانية ، تدرج مع تطور الأحداث السياسية محاولة تجاوز الواقع برفضه، ثم بالثورة عليه كما عبر تلك الأعمال عن مقومات الهوية العربية فشكلت حدثا أدبيا متميزا لما حملته من مضمون جديد بجرأتها في طرح مسائل سياسية و أخرى اجتماعية مثقلة بالرمز.[3]

مما جعله نص أدبي يستحق القراءة الدقيقة و المكررة دون غيره من النصوص الأدبية.

[1] أحمد سيد أحمد : " الرواية الانسانية و تأثيرها عند الرواد بين الأدب العرب (محمد ديب – نجيب محفوظ) ،الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ،1989 ، ص 92 .

[2] محمود قاسم ، الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية ، ص2.

[3] أحمد منور " الأدب الجزائري بالسان الفرنسي نشأته و تطوره ، ص 169 .

1 ـ ملخص الدار الكبيرة:

هي الجزء الأول من الثلاثية كتبت قبل أن تندلع ثورة الجزائر و تدور أحداثه 1939 داخل أسرة بسيطة تحكي قصة عائلة جزائرية فقيرة تجاهد بمشقة و صعوبة لكسب قوتها لكنها لا تنجح .

الدار الكبيرة قصة كل أسرة جزائرية بائسة، عدّ الصراع ضد الفقر موضوع الكتاب و الفشل يمثل الأحداث التي تسير الرواية .

داخل هذا الجزء نعيش مع الكاتب في مدينة تلمسان الواقعة في القطر الجزائري و على مقربة من الحدود المغربية و في دار من دورها الكبيرة و هي دار سبيطار و تعني هذه الأخيرة بالعامية الجزائرية المستشفى و سميت بهذا الاسم لأنها استخدمت كمستشفى في الحرب العالمية الثانية.[1]

الدار الكبيرة هي بمثابة خلية النحل كما يصفها ديب نفسه **، تشبه دار سبيطار أن تكون بلدة رحابها الواسعة جدا تجعل من المتعذر على المرء أن يقول عدد سكانها فإنه لم يكن في المستطاع الجزم تحديدا بعدد المستأجرين الذين يأوون إليها ...كانت هذه الأخيرة موضوعة في ترتيب عفوي ضيق جعلها تشكل جوقة واحدة تدعى المدينة القديمة بين الأزقة الملتوية التي تتعرج كالجبال ، لا تبدوا دار سبيطار سوى جزء متجزئا منها بناية كبيرة قديمة موجهة إلى سكان كان انشغالهم اقتصاديا بالدرجة الأولى.** [2]

وسط هذا المسكن العتيق تقطن " عيني " الأم الأرملة و العاملة ، ربة الأسرة التي تعيل أبناءها و هم بطل الرواية " عمر " و أختيه و أمها العجوز طريحة الفراش تعيش عيني وسط جو اجتماعي مهضوم الحقوق ، همها الوحيد الحصول على لقمة العيش بأي

[1] أحمد سيد محمد : " الرواية الانسانية و تأثيرها عند الروائين العرب ، ص 93 .

[2] محمد ديب :" الدار الكبيرة " تر : أحمد بن محمد بكلي ، الجزائر، مطبعة الفنون ، ماي 2012 ، ص 81 .

طريقة كان نصيبها الشقاء و العناء، **ظلت عيني تقاس الويلات تكافح من أجل الطعام لسنوات طويلة جعل حبال أعصابها تبلى في غمرة الصراع اليومي.**[1]

كانت عيني و أولادها يسكنون بعضهم فوق بعض كسائر الناس هناك ، **كان مطبخ الطابق عبارة عن غرفة كبيرة جدرانها سوداء مبلطة بمربعات كبيرة تراكمت فيها مختلف الأشياء غرفة بغير باب يغمرها ضوء خافت و كان البرد هنا يلامس الموت .**[2]

الدار الكبيرة عنوان لكثير من المشاهد الاجتماعية و السياسية مهما اختلفت أشكاله وأحجامه...هي ذلك الرسم الواسع هي تلك المراهقة الجزائرية في تلمسان هي ذلك الفضاء الذي يتسع لأكثر من مشكلة...في هذه الدار بالذات أين تبلور الوعي الثوري و الشعور بالمسؤولية .

وعمر بطل هذه الرواية وابن هذه الأسرة شاهد على مجتمع يعيش البؤس بأنواعه يحاول مع نخبة من أمثله الحصول على قطعة الخبز سواء بحمل المحفظة أو أن يكون محاميا لأحدهم حتى لا يتعرض من الطرف الآخر للضرب، أو في دار سبيطار كان عمر يحصل على قطعة خبز أو فاكهة عن طريق الخدمات المتنوعة التي يقدمها للمرأة يمينة ، إذ كانت تذهب كل صباح إلى السوق و تعود بقفة مليئة و كانت تطلب من عمر أن يقوم لها ببعض الأعمال كشراء الفحم أو ملئ الدلو مقابل قطعة خبزة أو تمرة فاكهة و كان ذلك يسره كثيرا لأنها لم تكن تحتقره .

و ينتقل الكاتب إلى وصف عمر و هو يراقب صبي صاحب وجه شاحب يقف بعيدا عن التلاميذ و كان يرتدي قميصا من قماش الكاكي فأشفق عليه عمر و تظاهر أمامه يرمي بقطعة من الخبز و بعدها يجلس يراقبه فيراه يتناولها خلسة مما جعل فؤاد عمر ينفطر لذلك كان يقول في نفسه **لعله الإحساس بتبجيل كبير إزاء شخص يأكل كل يوم. ما أروع العيش في كنف العائلة حول موقد المدفأة.**[1] [2]

[1]: محمد ديب : الدار الكبيرة ، ص 125 .

[2]:المصدر نفسه ، ص 35 – 36 .

عمر عرف اليتم عرف المعنى الحقيقي للجوع و الدار بالنسبة إليه، دار جوع يبحث دائما عن الخبز لذا كان يتساءل لماذا هم فقراء، فلم يجد الإجابة لا عند أمه و لا إجابة من غيرها أبدا، على الرغم من أنه كان متيقنا من أن معرفة ذلك ضرورية. عمر يمثل الأطفال الذين يسعون مبكرين في نموهم يقول : **« لدينا أفكار هذا أمر مؤكد لكن ليس فيها أبدا موضوع غرابة ، أفكار مفادها أننا سئمنا هذا الجوع ...»** [3]

فالشخصية البطلة في الدار الكبيرة لديها ما يفوق هؤلاء الرفاق من المعلومات فرنسا عنده رسم مختلف الألوان **« كيف لبلد بعيد كهذا أن يكون أمه ؟ أمه في الدار هي عيني و ليس له أم ثانية و عيني ليست فرنسا، و لا يوجد أدنى شبه بين الاثنين لقد ضبط عمر كذبة مباشرة، وطن أم لا ففرنسا ليست أمه »**[4]

لكن عمر استطاع و بعفوية منه اكتشاف أنّ كل ما يتعلمه في المدرسة كذب و أنه لا بد أن يتعلم الكذب لينجو من عصا المعلم، فقرر الموازنة بين معلمه و حميد سراج المناضل و أيهما الوطني و بعدها تكتمل حيرته عند سماعه المعلم يقول و بصوت خافت تعكره الحيرة بأن فرنسا ليست أمهم كما يقال لهم .

كما كان للمشهد السياسي حضوره مع الزعيم السياسي " حميد سراج " الذي تطارده الشرطة الاستعمارية فهو يمثل الإرهاص الثوري الذي سبق ثورة التحرير الكبرى **تقمص حميد سراج كلما ينبغي سن الثلاثين و قد بلغها ، فبالرغم من البساطة التي تكتشف من طبعه الساذج و المرسل فإن المرء لن يكون بحاجة إلى دقة و ملاحظة خاصة ، ليقرأ فيه رجلا شاهد الكثير ...كانت هيئته هيئة رجل هادئ و حازم ، لكن لا أثر فيها للتهور . كان يتحدث بصوت منخفض، عذب متثاقل.**[5]

---

[1]: المصدر السابق، ص17.

[2] :المصدر السابق، ص24.

[3] المصدر السابق، ص 193.

[4] :المصدر السابق، ص 25.

[5] :محمد ديب : الدار الكبيرة ، ص 71 .

كان يدعوا العمال إلى الثورة و رفض واقعهم المنشغل من قبل الفرنسيين و يكشف لهم الحقيقة الأليمة التي آلت إليها حياتهم أراد أن يقودهم لمواجهة المستعمر .

الشرطة كانت تقرع دار سبيطار باحثة عن هاته الشخصية النضالية **فقد أحست الشرطة فجأة أن دار السبيطار قد تحولت إلى صف العداوة ...دار سبيطار التي عكروا نومها و راحتها ، صارت تكشر عن أنيابها.**[1]

ينقلها ديب إلى الوقوف صور أخرى يمثلها الأغنياء لكنه لم يطل الوقوف أمامها و راح بين الحين و الآخر يلتقط صور عاجلة لهم.[2]

فهذا تلميذ من الذين يرتادون المدرسة أمثال إدريس بلخوجة الذي كان يتعمد التباهي بما يملك فيحمل قطعة الخبز و يلتف حوله الصبية يلتقفون الفتات ليضيف الكاتب لنا لوحة أخرى من لوحات الحرمان و الجوع و هذه امرأة سمينة قد اكتنزت لحما و شحما و وضعت في معصمها أساور من ذهب و هذه قصور مضيئة يستمتع أهلها بالدفء في ليالي الشتاء القارس .

بعد ذلك ينقاد ديب إلى أجواء الإعلان عن الحرب و عن مصيرهم و دورهم فيها ثم الحديث عن هتلر الذي أصبح في أذهانهم المنقذ للمسلمين ضد اليهود و الذي يقضي على الفرنسيين و يحرر بلادهم , داخل هذا الزخم الكبير نجد عمر مثله مثل الرجال الحقيقيين الذي يهتمون بكل ما يدور من حولهم ، حتى أنه نسي الخبز الذي أوصته به أمه رغم تفسيراته لها، فيعود بخطاه إلى بيت الفران يرجو شفقته فيعطيه الرغيف و يعود به إلى البيت و يراقب أمه و هي تقطع الخبز على ركبتها .

والرواية بشكل عام تعطي لوحة واسعة للظروف الصعبة و القاسية التي كان يحياها المجتمع الجزائري فأول ما افتتح به الكاتب الرواية هو" هات قليلا مما تأكل ! و بهذا يهيئ القارئ أمام مظاهر الجوع و الحرمان في دار سبيطار التي تمثل الجزائر **فبواسطة**

[1]: المصدر نفسه ، ص 49 – 50 .

[2] :أحمد سيد محمد : الرواية الانسانية و تأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب – نجيب محفوظ) ، ص 94 .

سكين تقطع (لالة) جزءا من ذلك الخبز الذي يحتفظ عمر عنده دوما بمذاق الرطوبة و بطعم عابر من التعفن ، كم كان حلوا بذلك الطعم .[1]

حملت الرواية تباشير الثورة على لسان شخصيات رمزية مثل منون:

جاء الصيف هذا الصباح

مدرق على السكات .
نحس روحي كي الحامل
أمّا خيتي .
و النسا في ازراييهم
يستناو عياطي
و تكرر : أمّا خيتي .
و النسا في ازراييهم
يستناو عياطي .[2]

أفصح ديب عبر هذه الرواية عن نغمات حزن عميق و رنات أمل كبير.

2– ملخص الحريق:

الحريق هي الجزء الثاني من الثلاثية ، نعيش فيها مشكلات الفلاحين عن قرب في قرية مجاورة لتلمسان هي قرية بوبلان ، و في هذه القرية تسكن واحدة من بنات الدار الكبيرة بعد زواجها من أحد الفلاحين و تزورها أختها " زهور " من وقت لآخر و بصحبتها جارها عمر و هو بطل رواية الدار الكبيرة .

يحتك هناك عمر بالعديد من الناس صغارا و كبارا يسمعهم يتحدثون و يجتمعون من خلال الحوار يعرض الكاتب صورا لنماذج بشرية هي في الواقع جزء من الحياة الاجتماعية و السياسية التي تعنى الثلاثية بتحديد معالمها و الإحاطة بهيكلها . [3]

[1] :محمد ديب : الدار الكبيرة ، ص 108 .

[2] :المصدر نفسه، ص 54 - 55 .

[3] :أحمد سيد محمد : الرواية الانسانية و تأثيراتها عند الروائيين العرب ، ص 95 .

استطاع الكاتب أن يفصح في عدة نماذج بشرية تمثل مواقف الجزائريين في الحركة الثورية التي أخذت بشائرها تدب في قلوب المواطنين، و ضمن هذه النماذج هناك الخونة و المخادعين الذين باعوا أنفسهم للمستعمرين الظالمين يرمز إليه المؤلف بشخصية " قارا " زوج ماما أخت زهور و يصور مفصحا عن خيانته في أحد المواقف و قد استدعت السلطات بعض الشباب للخدمة العسكرية **لكن قارا من أي عجينة خرج ؟ اختفى وراء منعطف أرضي.** [1] يقول **:« الفرنسي رجل عظيم حكيم يمكن أن نقول عن الفرنسي ، إنه جملة الأقدمين أسس أول مزرعة و أول حقل كروم . كان على دراية بما كان يفعل !...».**[2]

إلى جانب أولئك هناك المنشطون من المواطنين المخلصين الواعيين يتحركون و يتحدثون إلى الناس من أجل توعيتهم بواقعهم و مستقبلهم مثل شخصية **حميد سراج هو الذي أدخل في رؤوسهم فكرة التجمع فكرة ما كانوا ليفكروا فيها وحدهم و لن تخطر ببالهم لولاه لما كانوا على الحالة التي هم عليها في الساعة الراهنة كلهم متحدون.** [3]

جوار الخائنين و المنشطين الوطنيين صور الكاتب نماذج أخرى في المجتمع الجزائري و هم الجامدون الذين لا يبالون بما يرون ، و قد بينهم في بعض شخصياته مثل بوشناق أيوب يقول **:« تسمح لي قارا ... أريد أن أقول كلمة واحدة طيب ما دام العمال يطالبون بزيادة ، ألم يكن من الطبيعي أن يتحدوا ؟**

أين الضرر في هذا ؟سأل بوشناق.

الضرر ؟ الضرر ؟ قال قارا ...كرر القول ...سألتم أين الضرر؟ في كل ما كان . لكن ما الذي تركه صامتا كالأبله ...قال أخيرا ...إن هذا قد لا يعجب السلطات...»[4] و تابع ابن

[1]: محمد ديب : الحريق :تر: احمد بن محمد بكلي ، ص 105 .

[2] :المصدر نفسه ، ص 114 .

[3]: المصدر نفسه ، ص 68 .

[4] :المصدر نفسه ، ص 68 - 69 .

أيوب يقول لقارا **: وعلاش أليسوا في الحقيقة " خاوتنا " ...من الذي يضمر الضرر لأخيه..." إلى حفر حفرة لخوه ، إطيح فيها ".** [1]

إلى جانب هذه النماذج البشرية يعرض الكاتب فئة أخرى أولئك المعبِأون بالغضب والباحثون عن طريق يفجرون فيه طاقتهم،أمثال علي برابح يقول: **الرجال عندنا مصنوعون من معدن غالي التركيب . مقلب صاف لا خلط فيه كل المحن و المآسي التي عرفناها لم تفت عزيمتها و لن نبدأ اليوم طأطأة الرأس كل رجل تراه حولك يعتبر مخزن بارود يكفي تقع شرارة عليه .**[2]

ومن صور التقابل بين صور و مشاهد الحياة الاجتماعية التي يجمعها البؤس في جانب الغالبية العظمى من طبقات هذا المجتمع و فئة قليلة تنعم في الخيرات استطاع الكاتب أن يقدم الجانب الآخر في مشاهد هذه اللوحة كلها و هو الجانب السياسي و يمكن أن يكون عنوانه الظلم الساحق .

العمال في المدينة يعملون و لا تكفيهم أجورهم و الفلاحون يعيشون تحت وطأة الاستعمار في أراضيهم ، **ربما كان بني بوبلان الأفضل غير أنّ ناسه لا يعرفون الراحة واليقين ...إنّهم لم يقيموا بعد بإلهاب العالم ،...غير أنهم بدؤوا يتحدثون عن ثقل ما يعانونه من جور ، و يفهمون بأن الأجور التي يمنحها إياهم المعمرون أقرب إلى البؤس. يتحدثون عن هذا في جميع المناسبات . أثناء العمل و أثناء الراحة وقت الزوال . يتحدثون عن هذا عندما يلتقون في الطريق و في المساء في الكوخ ، حيث يجتمعون بصغارهم ...يعيش الريف كله أجواء لا تبشر بخير. و منهم من يقسم أن السجن خير له من هذا العيش.**[3]

ينقلنا ديب إلى بيوت العمال في مزرعة أحد المستوطنين تأكلها النار و تـأتي على ما فيها بفعل أحد الخائنين المستخفين،وهذه صورة لامرأة تعيش في القرية يقدمها لنا الكاتب مثالا لحياة الناس **" أمام باب الكوخ بدت خضرا جالسة و قد وضعت رضا بين ساقيها**

[1] :المصدر نفسه ، ص 70 .

[2] :المصدر نفسه ، ص 55 .

[3] :المصدر نفسه ، ص 49.

المنفرجتين . لم يكن في وسع عمر أبدا أن يفكر في هذه الأم من غير أن يتصورها و هي تحرك بنفس الرضوخ الجسدي تلك الصخرة الثقيلة . كانت تطحن الشعير و القمح و الفلفل الأحمر المجفف، ما تمدد ضياء النهار.[1]

ومن تلاحم صور الظلم و مظاهره تتكون حركة الوعي الذي مهد للثورة و ترهص بقيامها و تقود الشعب إلى طريق الحرية و يتحرك نحو مصيره في دورة الأحداث الوطنية و العالمية حيث **« تم إشعال حريق لن ينطفئ بعد هذا أبدا . سيظل يزحف بالتلمس سرا تحت الأرض لن تهدأ ألسنته الدامية ما لم تلق على البلد كله ، يريقها الكئيب ...تغطت تلك الصبيحة برمادية الحداد ...»**[2]

الجزء الثاني من الثلاثية جاء ليعمق و يجدد أبعاد تلك الثورة التي ستظل تشتغل و لن تنطفئ أبدا .

3 ــ ملخص النّول :

نصل إلى الجزء الثالث من هذه الثلاثية،ولكن كنا رأينا صورة عن حياة الأسر الفقيرة اليائسة و عشنا معها من خلال شخصية الفتى عمر في الدار الكبيرة ثم انتقلنا مع البطل نفسه في رواية الحريق إلى الريف فاطلعنا على الواقع البائس و استغلال المعمرين و أصحاب الأراضي للفلاحين ، إن رواية " النّول" تعود بنصائح البطل إلى المدينة مدينة تلمسان لتصور لنا قطاعا آخر هو قطاع العمال و ترسم لنا واقعهم الاجتماعي والاقتصادي و ما يدور في ضمائرهم ، محاولا بذلك إتمام الصورة العامة للجزائر إبان الاستعمار الفرنسي و في فترة الحرب العالمية الثانية على وجه الدقة .[3]

الثلاثية صورت الواقع العربي في الجزائر في شتى جوانبه ومختلف طبقاته ، مع إلحاح خاص على الطبقات الشعبية الفقيرة المستغلة من فلاحين و عمال ، **كل شيء في**

[1] :محمد ديب : الحريق ، ص 39 – 40 .

[2] :المصدر نفسه ، ص 222 .

[3] :أحمد سيد محمد : الرواية الانسانية و تأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب – نجيب محفوظ) ، ص 99 .

المدينة بارد سيء البائع في المدينة ملك ويل لمن يريد في المدينة أن يثور على جنس التجار ، إن المدينة هي العالم الذي يعيش بغير أمل ...[1]

في هذه الرواية (النّول) يعود بنا المؤلف إلى تلمسان وإلى الدار الكبيرة نفسها التي كانت موضوع الجزء الأول إلا أنّه لا يتوقف عندها إلا لحظات قصار فما من شيء قد جد في حياة الدار و ما من شيء تغير فأختاه لا تزالان تعملان في المصنع و أمّه تزداد شقاءا على شقاء فلا يتاح لها أن تدبر معاش الأسرة إلا بشق النفس، و ليس غريبا أن نسمعها تصرخ في بؤسها و وحدتها تقول **: على هذه الأرض اللعينة ولدنا كما يولد العار و أكلنا كما تأكل الحثالات ، و تركنا كما يترك المنبوذون حتى خبزنا أسود كسواد الليل الذي يلفنا بظلامه .** [2]

محمد ديب يقيم روايته على حدثين بارزين أولهما: عمل عمر في معمل النسيج و هنا ما أعطى الرواية عنوانها والثاني: ظهور جموع فقيرة من المتسولين اجتاحوا المدينة وشكل ظهورهم ظاهرة غريبة وهي تظافر هذين الحدثين لينقل الواقع الحي في أرض الجزائر يقول **: لعلنا ندخل نحن أيضا في مداد هؤلاء الشحاذين الذين يملاؤون المدينة إلا أن هيئاتهم لأقل هيئاتنا ! نحن هنا و الناس فوق رؤوسنا تسير.**[3]

لقد ترك عمر المدرسة إلى الأبد و أمضى شهور الصيف في (بني بوبلان) و هاهو ذا الآن في تلمسان و قد بلغ الخامسة عشرة من عمره و لا بد له من أن يعمل ، و كان على أمه عيني أن تسعى لإيجاد عمل له و لهذا قصدت منزل (ماحي بوعنان) و التمست منه أن يساعد ابنها اليتيم ، **و لم تصل إلى الكلام عن الغرض الذي جاءت من أجله إلا بعد ربع ساعة .** [4] فأمرها أن ترسله إلى معمله .

[1] :محمد ديب : النّول ، تر : سامي الدروبي ، روايات الهلال ، دار الهلال ، 1970 ، ص 120 .

[2] المصدر نفسه ، ص 33 .

[3] :المصدر نفسه ، ص 39 .

[4] :المصدر نفسه : ص 18 .

وبين دخول عمر المعمل في أول الرواية و خروجه منه في آخرها إثر مشاجرة مع (حمدوش)أحد العمال ، يبسط محمد ديب داخل هذا المتن الروائي صورة واسعة عن حياة العمال و بؤسهم و سلوكهم و يعرض نماذج عديدة منهم .

تحمل الرواية شخصيات متميزة متباينة متخاصمة ، تعكس بمجملها الحياة في الجزائر تحمل في أعماقها اتجاهات فكرية و تنطوي على بؤس ، رؤى ، أهداف و مشاعر و نقمة و رغبة في الثورة و التحرك ، تعرف عمر في هذا المعمل على عدد كبير من العمال فاحتك بهم و شاطرهم حياته اليومية ،كان هذا المعمل يضم عددا من العمال بينهم الفتى اليافع ،والشيخ الطاعن في السن المستسلم المسكين و الهائج الثائر ، الخاضع لمصيره و وضعه الحياتي و المتمرد عليه ، الواعي لبؤسه و أسباب بؤسه و الغافل عن الخيوط التي تحرك حياته . [1]

وراء ذلك كله هناك عمر الفتى الذي يسمع أحاديث العمال و يعيها و يحاول أن يعرف و يدرك بعض ما يعرفون و يدركون، و ذلك أنّ الروائي يعرض في هذه الرواية بأسلوب واقعي جوّ المعمل ، فيحدثنا عن تصرفات العمال و سلوكهم و ما يدور بينهم من أحاديث و مناقشات تتعلق بحياتهم الخاصة و الحياة العامة في الجزائر ، و هذا الاحتكاك الدائم يقرب بينهم كما يثير فيهم الخصام العنيف . و تظل شخصية المعلم (ماحي بوعنان) صاحب المعمل من حين لآخر إلى المعمل إذ هو يزور المعمل ،يصمت العمال و يكب كل على عمله .[2]

من هؤلاء العمال زبيش ، غوتي الأمين ، و عكاشة ، حمدوش،... و لقد عني الروائي في خطابه الروائي بدراسة كل من هذه الشخصيات دراسة واضحة أبرز أهم معالمها و أظهر ما تتميز به عن سواها.

[1]: محمود قاسم :الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية ، ص 122 – 123 .

[2] :أحمد سيد محمد : الرواية الانسانية و تأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب – نجيب محفوظ) ، ص 100 .

بيد أنّ وعي العمال لواقعهم ومحاولتهم التمرد على هذا الواقع وتمزقهم ورفضهم لمصيرهم إنّما يتجلى من خلال شخصيات ثلاث تتفاوت في ملامحها و طريقة تفكيرهم و وعيها و سلوكها ، إلا أنّها في مجملها شخصيات متمردة يرتفع صوتها بين حين و آخر و التي هي شخصية عكاشة الذي نادى بالحرية ، **عاشت الحرية أيّها السيد ينبغي أن نمضي باحثين عنها في الطرق ، الناس هنالك يكرمون اخوتهم.** [1]

الشخصية الثانية مع (حمدوش) ،الشخصية الثالثة(حمزة) يقول **: يا جزائر يا جزائر أين رجالك من ذا الذي سيوقظهم من سباتهم لقد اشتدت كروب الشعب لقد سعت كروب الشعب ...السياسة شيء معقد يفهمه كل واحد على طريقته الخاصة.**[2]

لقد صحبت تلك الشخصيات الفتى عمر و نشأت بينه و بينهم صداقة و صلة وصحبهم في المعمل و المقهى و الشارع ، أصغى إليها إصغاءا طويلا ، خلفت في نفسه أثرا عميقا لكن أكثرها تأثيرها عند عمر و حضورا في الرواية شخصية عكاشة ، إنه أكثر العمال وعيا و أوسعهم قلبا و أعمقهم إدراكا للواقع المحيط بهم و يصفه ديب في روايته بأنه ذلك العملاق الكريم الذي دافع عن عمر و حماه ، بث فيه أفكاره و آرائه . و ينتهي بعكاشة اليأس فيقرر السفر منذ أن تعرف عليه عمر، كان يتكلم عن السفر و يفكر فيه و لعل أهم ما ميز شخصية عكاشة إيمانها بالشعب و إشادته به فرغم آلامه إلا أنه يثق بالشعب و متيقن من أنه سينهض من سباته و يغير وضعه ، **لقد أصبح شعبنا شديد الإحساس بآلامه بالإهانات التي تحملها في الحاضر و الماضي ...أصبح شديد الإحساس إلى حد يصعب إدراكه...**[3]

هذا الصراع الذي نراه بيّن سيتحول و يتبدل، و بهذا يفسر عكاشة تمزق الإنسان الذي تلح الرواية على إبرازه.

[1] :محمد ديب : النّول ، ص 123 .

[2] :المصدر نفسه ، ص 100 .

[3]: المصدر نفسه ، ص129.

إلى جانب هاته الشخصية هناك شخصيات أخرى تعيش و تعمل في معمل النسيج لم يطل الروائي الوقوف عندها كشخصيتي عباس صباغ و مصطفى رزاق ....

أشار الكاتب أيضا إلى ظهور جماعة غفيرة من المتسولين الذين انحدروا من الجبال فازدحمت بهم طرقات تلمسان و لم تجد كل محاولات السلطة في إبعادهم و طردهم فيقف ديب أمام واقع هؤلاء و ما يعيشونه من ضنك و حرمان ، فيعود عليهم الناس بين حين و آخر بالقليل مما بين أيديهم ، ولا يلبث الناس أن يدركوا أنّ وجود هؤلاء المتسولين الفقراء الذين ضاقت بهم الأرض إنّما مرده للاستعمار فإذا كان العمال يحيون حياة بائسة تفتقر إلى العدالة ، و إذا كان هناك متسولون متشردون فإنّ هضم المستعمر لحقوقهم و خيراتهم هو الذي جعل الناس يتخبطون في هذا الوضع .

المبحث الأول : مضامين الخطاب الروائي" ثلاثية محمد ديب أنموذجا " .

عالجت ثلاثية محمد ديب بعمق مشكلة الإنسان الجزائري في مجتمعه المعاصر اختار الخبز ، الجوع و العمل و الإنسان ليعبر عن الحياة اليومية التي يعيشها الشعب الجزائري عايش ديب الصراعات العنيفة التي كانت تمور في الجزائر، وعدّ هذا المكان من المكونات الأساسية في البنية السردية ، ذلك أنّ كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد و زمان معين .[1] و إلغاءه هو قمع لهوية من هويات الخطاب الأدبي و مضامينه و يفرغ العمل الأدبي من عمقه الأدبي و الجمالي .[2]

نرى ملامح البيئة الجزائرية عبر تنويع الكاتب لأنماط شخصياته ليضع قراءه أمام نص روائي بالغ التنوع و الاختلاف و قد حاول منذ أول قصة كتبها أن يضع أدبه في خدمة إخوانه المظلومين .

روايته "الدار الكبيرة " و " الحريق " و" النّول" صورة واضحة للبيئة الجزائرية و بداية الوعي القومي، تقف الثلاثية على فترة التهيئة النفسية للمعركة القادمة، تقف أيضا أمام نماذج من العامة و عاداتهم، و الصمت المرتقب من رائحة الفقر العفنة، كل ذلك بنظرة ثاقبة.

1 ـ المضمون الاجتماعي:

ركز ديب في ثلاثيته على رصد مأساة الحياة اليومية و ما سيصحب صيحات الأطفال الجياع ، اعتمد في ذلك على عرض تلك الصور فتدفع بالقارئ أن يحب هذا الشعب و يشعر بمأساته ، فأحداثها تدور حول حياة شاب هو " عمر " و يربط تطور وجهة هذا الشاب و وعيه أمام كل حدث في محيطه بتطور الوعي لدى الجماهير لإعطاء صورة لمجتمع القرية و المدينة في الجزائر ، ينقل آمالهم و آلامهم و حرمانهم و وجودهم .[3]

[1] :ينظر محمد بوعزة : تحليل النص السردي (تقنيات و مفاهيم)،الرباط ، دار الإمارات ، ط1 ، 2010 ، ص 99 .

[2] :حسن تهمي : شعرية الفضاء السردي "المتخيل و الهوية في الرواية العربية "،بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ،2000 ، ص 59 .

[3] :سعاد محمد خضر : الأدب الجزائري المعاصر " دراسة أدبية نقدية " ،صيدا بيروت ،منشورات المكتبة العصرية ، 1928 ، ص 152 .

رواية الدار الكبيرة تبدأ ب : " أعطيني قطعة خبز " يقولها عمر و تلاميذ من سنه لا يتجاوز عمرهم العاشرة لطفل صغير كان قد أحضر معه قطعة خبز، و هذه البداية تهيئ القارئ لصورة الجوع الدائم و الصراع من أجل لقمة الخبز و الجوع و البطالة التي تعاني منها طبقات الشعب الجزائري الكادحة .

يقف الكاتب أيضا على أحد المدارس التي يتردد إليها عمر و يتعلم فيها الفرنسية حيث كان معلموه يحاولون أن يمحوا الشخصية العربية فيحدثوه عن عبقرية و طيبة و حضارة الفرنسيين، فتثير مختلف مشاعر عمر عندما يسمع ذلك في حين يرى الفقراء يختنقون من العفن في أكواخ الطين يتجمدون من البرودة في الشتاء و تذبل أجسامهم النحيفة تحت حرارة الصيف ، **كان مطبخ الطابق عبارة عن غرفة كبيرة جدرانها سوداء مبلطة بمربعات كبيرة تراكمت فيها مختلف الأشياء ، غرفة بغير باب يغمرها ضوء خافت و كان هناك البرد يلامس الموت .** [1]

ويرمز دار السبيطار (الدار الكبيرة) إلى الجزائر الكبيرة و نماذج سكان الدار الكبيرة هم أفراد ذلك الشعب المضطهد المظلوم الذي أمتصت دماءه ، وأم عمر هي رمز للشقاء و العناء أرهقها الحزن و الكفاح من أجل لقمة العيش ما جعلها تقسوا على عمر وأختيه فهي حزينة دائما و حياتها لا أمل في تغييرها و لا مخرج لها ، فهي لا تملك سوى ماكينة الخياطة التي تساعدها فقط على شراء الخبز و تقتات العائلة كلها من نفايات الخضروات التي يلقيها الباعة في المزبلة و من طاولات البيع في السوق .

ويمثل المجاهد " حميد سراج " الشخصية الواعية بهذه الحالة المزرية فيحاول نشر الوعي و الوقوف أمام حقيقة الحياة التي يحيونها.

[1]: محمد ديب : الدار الكبيرة ، ص 35 – 36 .

واقعية الكاتب لا تتضح في هذه الثلاثية في اختيار أبطاله أو لأنه يقدم لنا صورة حقيقية لما يدور في الجزائر بل لأن أبطاله بدؤوا يشعرون بضرورة النهوض و البطل عمر بدأ يفهم ضرورة الثورة للتخلص من هذا العفن الذي بات لصيق حياته .[1]

يقول : حميد سراج **ينبغي أن نضع حدا لهذا البؤس ...كانت جمله الواضحة تبعث في النفس إحساسا مريحا فكل ما يقوله حق. و الناس يثقون في رجل يقول مثل هذا الكلام ...كانت نبرة صوته تدفع بكل واحد إلى الفهم ...هذا لم يعد يطاق.ينبغي الحصول على تحسين فوري لظروف المعيشة ...** [2] .

داخل الدار الكبيرة كان الناس يعيشون مظاهر البؤس ما يكفيهم ، فعلى الرغم من أن جميع الأفراد يعلمون إلا أنهم لا يجدون ما يكفيهم و عليه تكبر أحجام البؤس لتشكل صورة البائسين في لوحة اجتماعية جزائرية .**فالبؤس الذي نعيشه كبير جدا كبير لدرجة أننا نعتبره بعضا من ظروف شعبنا الطبيعية ، لم يكن هناك من كان قادرا على الشهادة على ذلك .**[3]

الدار الكبيرة صورت انطباعات الكفاح و المعاناة بحيث تثري الحياة و تبني لبنات الأمل و خطوات المستقبل، الدار الكبيرة تحمل رؤى شاملة و واضحة عن أوضاع الجزائر في تلك الفترة فهي تعالج في الأساس مشاكل اجتماعية أهمها الفقر المدقع بالإضافة إلى البطالة و الجهل الذي خيم على عقول دار سبيطار، **يعيش سكان دار سبيطار وسط جو اجتماعي مشحون بالغضب و السخط الذي انتهى بعمر إلى تشبيه دار سبيطار بسجن صغير ، حياة كلها فوضى حياة يهزها الغضب و الخوف في كل لحظة .**[4]

لذا سعى ديب لإبراز كل ذلك عبر فصول السنة مبرزا معاناتهم ظلال جميع الفترات فمن تقلبات الخريف إلى برد الشتاء إلى حر الصيف، و تأتي رواية " الحريق " لتروي ما يعيشه الفلاحون و هم لا يختلفون عن ما كان يعيشه سكان دار سبيطار، إنهم يشبهون

[1]: محمد سعاد خضر : الأدب الجزائري المعاصر ، ص 156 .

[2] :محمد ديب : الدار الكبيرة ، ص 135 .

[3] :المصدر نفسه ، ص 137 .

[4] :أم الخير جبور : الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيو نقدية ، ميم للنشر ، ط1 ، 2013 ، ص 167 .

جميع الفقراء و ما أكثر عددهم ففئة الفلاحين خاضعة للجوع ، لجوع دائم يبقى هؤلاء الرجال في تبعية غير مستقرة بين الحياة و الموت ، يعمل الجوع بازدواجية متماثلة الأولى متعلقة بالرغبة المادية الحقيقية للأشخاص الذين لا يملكون قوت يومهم و الثانية مجازية ناتجة عن مبالغة في الأولى من بؤس روحي و معنوي والكفاح الذي انتهج كان لأجل هدف مزدوج هو الحصول على الكفاية من الطعام و الحق في الاحترام .[1]

الجزء الثاني من الثلاثية تدور أحداثه مع الشخصية البطلة عمر و وعيه أمام كل ما يحدث أمامه فتتضارب المشاعر في نفوس الفلاحين في بني بوبلان لكن التوقيف والضغط كان يلف حياتهم لكن كانوا مؤمنين بأنّ هناك نارا لا تنطفئ أبدا هي نار متأججة ، هو حب الوطن ، حب الأرض و الفلاح ، فيعطينا ديب عبر الحريق لوحة من الصمت المرتقب أمام ما يحدث من قمع ، فقر و جريمة ، منظر الفلاحة التي تطحن الحب و قواها و ملامحها الحزينة ، **في غمرة الصوت الثابت المنبعث من الحب المطحون كانت العجلة تطحن قوى المرأة . لكن من غير أن تتوقف خضرا عن تحريك جسدها بنفس الوتيرة ...ففي تلك المرأة ذات التعبير المحزون ن الممتد في استسلام تام ، كان ينظر إلى ميتة** .[2]

نرى في هذا الجزء كيف مارس الاستعمار سلطته لانتزاع أخصب الأراضي من الشعب الجزائري و تسليط الضرائب عليه و انتهاكهم ، مما أدى بالجزائر إلى ضرورة التخلص من هذا الواقع الاجتماعي المتعفن **لتسديد الضرائب ؟ كان ينبغي"احدايد" المرأة إضافية قيمة ثيابها إخراج صوف المطارح و استكمال الحساب بجلود الكباش . بيع كل شيء إن أمكن عدا الأرض.**[3]

إلى جانب تبلك الصور وقف الكاتب على حالة الفقر و المعاناة في كسب الرغيف كان الحرمان لا يفارق وجوه الفلاحين ، **يشكل هذا الخبز و للبن لمدة عدة أيام في الأسبوع**

[1]:المرجع نفسه ، ص 266 .

[2] :محمد ديب : الحريق ، ص 41 .

[3] :المصدر نفسه ، 52 .

المأكل اليومي،أحيانا أخرى تترك الأطراف تغطس في الماء ،يبتل الخبز شيئا فشيئا لينتفخ كل قطعة تبدو ضخمة و تصبح هشة ...فمن القطع القديمة جدا لا يصل الماء أبدا إلى قلب الخبز الذي يظل قاسيا مثل الحجر. [1]

يصور الكاتب إرادة الفلاح في العيش على الرغم من الصعوبات و على غرار كل الصراعات التي يعيشها مع الفقر ، الجوع ، البطالة كانت الإضرابات التي يقوم بها الفلاح بمثابة حركة احتجاجية أشبه بعودة الروح إلى أبدانهم أو أقرب إلى حالة الصحو من السبات الطويل، على الرغم من أنها كانت يقظة لمدة قصيرة ، فالمفاجأة الكبرى لهذا الإضراب، الحريق الذي اشتعل في كل بيوت المضربين فأضافت للحياة بؤسا جديدا فقد أضحى هؤلاء دون سكن بعد أن فقدوا وظائفهم ، لكن ذلك لم ينقص من عزيمتهم بل زادت من عدالة قضيتهم و التحقوا مجددا بحقولهم فاشتغلوا مقابل مبالغ بائسة و استغلوا استغلالا عزز مأساتهم فتحول كل ذلك في نفس الفلاح و بفعل اجتماعي إلى مخزن بارود قابل للانفجار و ما للإضراب إلا خطوة لتمزيق هذا الجو و الخروج من العبودية.

كان ناس بني بوبلان يعيشون في انتظار حموي رغم هذا فقد احتفظوا برباطة جأشهم لقد أثبتوا في هذا الإضراب بوضوح أنهم قادرون على التحكم في انفعالاتهم و على التصرف بوعي ...كان ذلك بمثابة مفاجئة تعدل تقريبا أهمية عملية الإضراب نفسها. [2]

بعد ذلك يأتي الجزء الثالث من الثلاثية " النّول" ركز فيها على حياة طبقة العمال داخل معمل النسيج فيعود بنا الكاتب إلى الوقوف على الفقر و البطالة و الجوع في هذا المصنع، و يرصد لنا مشاهدا اجتماعية عن طريق أكبر عدد من الشخصيات.

ركز الروائي في هذا الجزء على البطالة التي انتشرت و تسببت في انتشار التسول بل حتى الذين اشتغلوا في الحرف اليدوية كانوا لا يعملون إلا نصف ساعة فقط ثم يتوقفون عن العمل لأسابيع.

ما عاشه البطل عمر مع عائلته في الدار الكبيرة يعد رمزا للشقاء و العناء فالغرفة التي يقطنون بها، الداخل إليها يظنها مهجورة و هذا الوضع لا يختلف مع حمدوش أحد

[1]:المصدر نفسه ، ص277 .

[2] :المصدر نفسه ، ص 228 .

عمال النسيج، **لا أثاث فيها ...الغرفة عارية كل العري مبيضة الجدران و فوق الفراش القش يتدلى معطف هش مهترئ لا لون له معلق بمسمار وفي ركن من الغرفة ينام صندوق خشبي على جنبه كاشفا عن سخان صغير يشتعل بالكحول و ابريق منبعج لغلي الشاي وزجاجة وفنجان و صحن ...وعلى الكرسي ترقد باقة طرية من نبات النعناع و قدح ماء...و ليس في الغرفة شيء آخر .**[1]

يقف محمد ديب على ما يعانيه العمال داخل تلك الورشة من رائحة الرطوبة و العفن و الظلام فنجده دائم التكرار والحديث عن المعمل و حالته المزرية ، وعمال النّول في هذا الجحر المظلم في حيرة دائمة حول هويتهم المفقودة لذا أدرك ديب أن تغيير الوضعية من الخارج يتطلب تغيير الإنسان من الداخل فالجميع دائم الشكوى دون المحاولة في إيجاد حياة أفضل للخروج من حالة العبودية .[2]

تطرق ديب في هذا الجزء إلى انتشار موجة المتسولين التي حلت في مدينة تلمسان إذ أصبح المألوف أن يلتقي الناس بكائنات أقرب إلى الأشباح لمنظرها ، غير أن هؤلاء لم يسمع أنهم سيئون يكتفون بالنظر، منتظرين أمرا ما دون أن يعرف ما هو ربما الفرج القريب أو الموت الذي يرحم .[3]

فكان النوم ملجأ البعض منهم ململمين أنفسهم كالقنفذ . وبهذا يضعنا الكاتب أمام واقع متعمق فيه بمنظور روائي اجتماعي و أسلوب واعي ألح الأديب على تصوير قسوة العمل و استغلال العمال و أثر هذه الاستعمار على نفس الجزائري.

حرص محمد ديب أن تلامس ثلاثيته العادات والتقاليد و القيم المتعلقة بالبيئة الجزائرية و التي تعد مظهر من مظاهر الهوية التي سعى " ديب " لإبرازها مثل الباس التقليدي **فمن شيشان عمائمهم إلى بابوش الجلد المدبوغ في أخمص أقدامهم لا نجد سوى عيونا كالعيون تنساب رقراقة منذ أزمنة لا تحصى .**[4]

---

[1] :محمد ديب : النّول ، ص 140 .

[2] :حبور أم الخير : الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ، ص 269 .

[3] :المرجع نفسه ، ص 140 .

[4] :محمد ديب : الحريق ، ص 101 .

أيضا العادات المتمثلة في احتشام المرأة و هذا ما يؤكده في عبارته السردية نساء ملفوفات كالأطياف في حائكهن الأبيض كن يستعجلن الدخول إلى ديارهن و قد تأخرن.[1]

استطاعت ثلاثية محمد ديب أم تصور لنا نماذج من حياة أناس من عامة الفقراء وعاداتهم و متاعب السعي اليومية وراء لقمة العيش ، تصور حياة يومية تجذرت في الحياة اليومية للجزائري مستندا في ذلك على التنويع في الشخصيات .

2ـ المضمون السياسي :

تشكلت صورة الجزائر في الثلاثية من خلال شخوصها الذين أذلهم المستعمر و سلبهم كرامتهم و إنسانيتهم و أراضيهم ليصبحوا أجراء في أراضيهم ، إضافة إلى سياسة التفقير التي مارسها المستعمر على الشعب الجزائري .

قدم ديب هذه الثلاثية للقارئ من خلال شخصية البطل / الطفل عمر بحيث نجد هذا الطفل يفتقد الشعور بالطمأنينة و الثقة في المستقبل ، يعيش في حيرة يومية يشكك في إمكانية الحصول على الطعام و هذا الشك يتجدد إلى غير نهاية نتيجة المواجهات السياسية و العنف، لكن ظهور فكر سياسي وطني أصيل جعل عمر يعي الواقع الجزائري على حقيقته و يشعر أنّه تحول من براءة الأطفال إلى نضج الرجال و فهم معنى الرجولة و هو لا يزال طفلا .[2]

فهو تلميذ حميد سراج بحيث نجده حاضرا في كل اجتماعاته ، لم يكن عمر أنموذجا لوعي الفرد البطل بل هو نموذج لوعي جماعي و يبدأ من الفرد الواحد لكنه يعمم على الجميع من خلال الإتحاد و الاجتماعات .

حميد سراج هاته الشخصية السياسية لم تكن صامتة بل كان يعطي خطبا على الفلاحين و المزارعين ناشرا أفكار تنير عقولهم ، فقد رسم شخصية الجزائري المناضل و الفاعل و المشارك لمجموعة حركية التفعيل الثوري في بداياته وسط تلك القوى الاجتماعية من

[2] :عبد المالك مرتاض :فنون النثر الجزائري ، ص 5 .

الفلاحين و العمال و المزارعين التي استجابت لتوعية هذا المثقف المدرك لمأساة الأمة و المحب لرجالها ، و قد نجح " حميد سراج " في قيادة إضراب فلاحي " ببني بوبلان " كما نجح في تنظيم صفوف الفلاحين و تنبأ بالمقاومة التي يراها الحل الوحيد لتحسين حياتهم ، فهو لا يهاب السجون أو التعذيب و لا يقبل التنازلات لذلك حضي بمكانة عند الشعب فقد أعلن إخلاصه قولا و عملا .[1]

وهذا الجانب السياسي نجده أيضا مع شخصية عكاشة التي عرفت حقيقة الحياة و أن الشعب يحمل هذه الحقيقة في ضميره **ليس يكفي المرء بعد الآن أن يكون مؤمنا حتى يرتاح ضميره ...طبعا أتمنى لو كان إيماني مصحوبا براحة ضمير... مؤمن غير مرتاح الضمير.** [2]

والظلم السياسي في الثلاثية، يصوره الكاتب في مشاهد موزعة بين الأجزاء فالأحداث السياسية التي بعثها سكان دار سبيطار تضع القارئ أمام لوحات هادئة نسبيا كما تحوي على لحظات اضطراب و تأزم حيث حاولت فرنسا تجميد كل نشاط سياسي فعاش سكان دار سبيطار الرعب و الفوضى فنجد رجال الشرطة و يقرعون باب دار سبيطار يبحثون عن الوطنيين ، **لم يصمد لمستأجري دار سبيطار قلب و لا عقل ...تصارعت من كل أرجاء الدار إشاعة محيرة .تعتبر صرخات الغل و الغضب هذه نذير شؤم...فتش الأعوان ما ترك حميد سراج من ورق ...كما قلب الغرفة رأسا على عقب .**[3]

ونرى هذا المشهد أيضا في مطاردة الفلاحين، إجبار المضربين منهم على العمل في الجزء الثاني ، **كان الفلاحون على علم بما تعنيه عمليات التوقيف هذه...و ما الذي ينبغي فعله في مثل تلك الحالات...اليد في اليد. كلمة واحدة . الاتحاد.**[4]

الحدث السياسي كان حاضرا في الثلاثية من خلال حملات الاعتقال الواسعة و التجنيد الإجباري و منظر هؤلاء المجندين الشباب الذين تم اختيارهم لم يدربوا لحمل السلاح

[1] :أم الخير جبور : الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ، ص 138 – 139 .

[2] :محمد ديب : النول ، ص 81 .

[3] :محمد ديب : الدار الكبيرة ، ص 54 .

[4] :محمد ديب : الحريق ، ص 60 .

والأهم من ذلك أنهم لم يفهموا القضية التي سينطحون لأجلها و أغلب هؤلاء الشبان من الطبقة الفقيرة المحرومة .[1]

كشف الكاتب عن حياة سياسية عبر نماذج و شخصيات منها المنشطون المخلصون الواعون وهناك الخونة و المخادعين المحاولين إعاقة الحركة الثورية أمثال " قارا " ذلك العميل و الخائن لوطنه و ذلك المزارع البسيط الذي يحسن الربط بين التنظيم و الوحدة و الحركة يعد " قارا " أداة للجهاز القمعي الاستعماري و دوافعه أن يتمثل الآخر فهو يحلم و يرغب في الغنى الذي يتمتع به المعمر الأوربي .

ركز محمد ديب على توضيح مصير الشعب الجزائري في تلك الفترة من تاريخه ذلك المصير الذي يواجهه جيل شخصيات الثلاثية ،في المشاركة الفعلية في حرب التحرير **منذ ذلك الوقت صار الناس الذين يبحثون عن مآل مصيرهم ، يبحثون عن أرضهم في تردد و الذين يرغبون في تحرير أنفسهم و تحرير أرضهم ، يستفيقون كل ليلة و يميلون بآذانهم منصتين .تصاعد جنون الحرية إلى أذهانهم من الذي سيحررك يا جزائر ؟ شعبك ماض في الطرقات ، باحثا عنك .**[2]

و من تلاحم صور الظلم نمت حركة الوعي التي تقود الشعب إلى الحرية ، ففي المدينة يتعرف عمر على المسار السياسي عبر الشخصية النضالية حميد سراج و في ريف " بني بوبلان " يتعرف عمر على " كمندار " فيتحول هذا الأخير إلى كتاب تاريخ مفتوح و حي و في الجحر الذي يمتلكه " ماحي كمندار " يلتقي عكاشة الشخصية البديلة التي تنوب حميد سراج بعد إلقاء القبض عليه و هناك يتعلم عمر لغة الاعتراض و الثورة لقربه من هاته الشخصيات يقول أحد العمال في مصنع النسيج : **يجب أن لا نخلط جميع الأشياء في كيس واحد ولا تحاولوا أن تقنعوني أنني شبيه بذلك الذي يملك نصف مقاطعة...لا تحاولوا أن تقنعوني بأنني أتعذب لأنني خلقت للعذاب. أنّني إنسان كأي إنسان آخر.**[3]

[1] :أم الخير جبور : الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ، ص 135 .

[2]: محمد ديب : الحريق ، ص 44 .

[3]: محمد ديب : النّول ، ص 51 .

نجده يصور حالة القلق، الانشطار التي يعيشها الجزائري و ترقب الحرية ، **ظلت الحيرة متمادية يقظة، ثقل على أجواء تلمسان جو عاصف ثم فجأة ، تجسدت كافة المخاوف المتشتتة هنا و هناك ...لم يتخلص عمر ولا يتخلص أهله أبدا من شعور صاروا يعيشونه في عالم محظور .**[1]

نقف أيضا مع ديب على هجرة طائفة من الأسر الجزائرية إبان الحرب العالمية الأولى فرارا من ضغوط المستعمرين و استقرارها في الحجاز أو تركيا ، فمن ثمرات البؤس و الأحوال السياسية مشاهد الهجرة هجرة الفلاحين من قراهم إلى المدينة .

كلها تعكس أساليب زادت البؤس بؤسا ارتبطت بمحاولات المستعمر للقضاء على الشخصية الجزائرية.[2]

فسياسة التجويع و القهر الدائمين كانت تهدد الكبار و الصغار، مثلا توزيع الفحم بسبب ضائقة الحرب و توزيع الدقيق...كلها مشاهد أرادت فرنسا عن طريقها كرامة الجزائري يقول ديب **: إن الاستيطان يجرح : نظراتهم خوف بائس ، و نظرات الرجال قسوة يائسة فالمستوطن يعتبر الفلاح بمثابة لا شيء . يريد أكثر يريد أن يكون الرجال ملكا له. فرغم هذه الملكية الموثقة فإنها لا تمنع الفلاح أن يكون سيد الأرض الخصبة.فمن قطيع و غلل الحياة في كل مكان محض توليده ، و الأرض إمرأة نفس السر الذي يكتنف الخصوبة ينحلق في أخاديد الحقول و في بطون الأمهات فالقوة التي تفجر الثمار و السنابل موجودة بين أيدي الفلاح .**[3]

[1]: محمد ديب : الحريق ، ص 260 .

[2] :محمد سعاد خضر : الأدب الجزائري المعاصر دراسة أدبية نقدية ، ص 17 .

[3]: محمد ديب : الحريق ، ص 45 .

3ـ الثـــــــــورة:

مثّل عمر عبر رواية " الدار الكبيرة " و " الحريق " و " النّول " حدس الحرية و الوعي و الثورية تكشف عن الحقيقة الأليمة التي آلت إليها الجزائر ، هذه الثلاثية ل م تنبأ بالثورة فحسب بل تقود إلى الفعل الثوري ، و تدعوهم لمقاومة المستعمر .[1]

استطاعت ثلاثية محمد ديب أن تخرج إلى الطابع الواقعي لتقترب من الطابع الملحمي و ذلك لأنّها تنبأت بالثورة و الظروف التي مهدت لها ، عبّرت عن قلق و ترقب ، ففي الدار الكبيرة تأتي الشرطة لتحقق ، ثم تبدأ الحرب العالمية الثانية و تطول الحرب و كان أوّل اجتماع سياسي يعقده الفلاحون و بداية كفاحهم الفعلي بإضرابهم عن العمل كان رد فعله هو الانتقام الرهيب من الفرنسيين حتى وهم في أوج محنتهم ، نفس السياسة لم تتغير من قبل السلطة حتى في أيام الحرب كما نجد في الجزء الثاني من الثلاثية " الحريق " تتعمق الأحداث و تتحدد أبعاد الثورة التي بدأت تتحدد بوادرها في" الدار الكبيرة " لتصبح في " الحريق " بعد إعلان الحريق نفسه بداية فعلية لحركة ثورية.[2]

و بالتالي كانت تبشيرا الرؤية تنبئية فاعلة لما سيحدث على أرض الجزائر من مقاومة و ثورة و حريق.

استند في ذلك على لسان شخصيات رمزية جعلها الكاتب تتكلم و هي في حالة اللاوعي مثل منون التي ترمز إلى غد شرق ، إلى الحرية :

جا الصيف هذا الصباح
مدرق على السكات
نحس روحي كي الحامل
أمّا أوخيتي
و النسا في إزراييهم

[1] : نسيمة يعقوبي:صورة الثورة الجزائرية في ثلاثية "محمد ديب " رسالة ماجستير قسم اللغة العربية و الأدبية ، 2001 – 2002 ، ص 115 .

[2] :المرجع نفسه ، ص 117 .

يستناو عياطي. [1]

أدخل الشخصيات الرمزية ليتكلم عن ولادات ثورية تحمل شعلة المستقبل.

أنا إلى نتكلم يا دزاير

أنا امرا

و امرا كي لخرين

لكن عياطي ما يحبسش

ينادي الوديان أو لعيال

هابطا من لوراس

حلو ببانكم

يالعرايس يا أوخياتي. [2]

بدت بوادر ولادة تلك الثورة في " الدار الكبيرة " لتعمق و تحدد أبعادها في رواية الحريق و أنّ هذه الثورة لن تنطفئ أبدا و هذا ما يجده القارئ في الجزء الثالث .

تترقب الصبح

و من صميم العيون تلتفت

نشاهد في الجبال

تفكك ليل لا يحترق

نيران

توقد كل مساء

في مواقدنا .

[1] :محمد ديب :الدار الكبيرة ، ص 54 .

[2] :المصدر نفسه ، ص 57 .

نيران فرح، بين الجبال...

أسلاك النجوم الشائكة

تمزق أرضا دامية .[1]

كان الفلاح على دراية بما تعنيه كل الممارسات الاستعمارية و عمليات التوقيف و ما يحيهم واقعهم ، فقرروا التلاحم و التوحد و أن تكون لهم كلمة واحدة ، و أنّ أيام الهناء ستعود و أن نار هذه الثورة ستظل بريقا ينير طريق الحرية . تم إشعال حريق لن ينطفئ بعد هذا أبدا سيظل يزحف بالتلمس سرا ، تحت الأرض لن تهدأ ألسنته الدامية ما لم تلق على البلد كله .[2]

يقول: **نحن نبعث الحياة في هذه الأرض صوت ينبعث من الأعماق يقول لي بأننا معنيون من أجل تحقيق هذا المال العظيم !.** [3]

يرمز " عمر " إلى جيل اكتمل وعيه بحالته السياسية و الاجتماعية ليوجه مصيره بالإضافة إلى شخصيات رمزية مثل حميد سراج ، عكاشة فهما من رموز الوعي ليعبروا عن بداية حركة الجماهير و أنّ الجزائر تستعد للمعركة الفاصلة.

أيضا ترمز تلك الشخصيات إلى جزائر غاضبة رافضة ، ثائرة تريد الثورة على واقعها لترسم بخطى ثابتة صورة للمستقبل ، **يعرض علينا أن نتوحد ...أن نكون حركة واحدة لغرض الانتفاض و التخلص من كافة الديدان التي تنخرنا.أقول أنه من الممكن معالجة الضرر الذي يشكو منه العالم.**[4]

عبّر عن الثورة و ضرورتها عبر عالم المدينة و عالم الريف مستندا في ذلك على بطل الرواية عمر فهو صلة الوصل بين هاذين المكانين اللذان يشكلان الوطن فالطفولة التي كان يعيشها ببراءتها الفتوحة دفعته إلى فهم الوطن و ضرورة الثورة منطلقا من

[1]: محمد ديب : الحريق ، ص 28 – 29 .

[2] :المصدر نفسه ، ص 222

[3]: المصدر نفسه ، ص 139 .

[4] :المصدر نفسه ، ص 138 - 139 .

واقعه و البحث عن الحرية بين حوارات الفلاحين و العمال أو بين جدران المدرسة أو جدران دار سبيطار أو في مصنع النسيج .[1]

فالطفل عمر يمثل عنصر الشباب الذي يقود الثورة.

4 ـــ الأرض:

لا يفصل محمد ديب في ثلاثيته بين الأرض و الإنسان فيساوي الحياة مع امتلاك الأرض و فقدانها هو الموت نفسه .

دار سبيطار من رموز الوطن فديب عندما يتحدث على هذا البيت العتيق يعتمد التأكيد على فكرة الوطن ، فما يعاش في دار سبيطار مطابق لما يحدث في الوطن وعندما يصف الكاتب سكانه يمتلك القارئ قناعة و كأنه يتحدث عن الجزائر ، **دار سبيطار أشبه بالبلدة ، بحكم أبعادها التي كانت واسعة جدا ، فإنه لم يكن في المستطاع الجزم تحديدا بعدد المستأجرين الذين يأوون إليها عندما أنتهي من بقر المدينة ، شرع في تهيئة مسالك جديدة ، لا تبدو دار سبيطار سوى جزء منها** .[2]

أما الغرف التي كان يسكنها سكان دار سبيطار لا تصلح للمبيت كما وصفها في الجزء الأول من الثلاثية ، و كذا الجزء الثالث مع غرفة حمدوش أحد عمال النسيج فهي لا تختلف عن المكان السابق .**كان حمدوش مستلقيا على فراش مسطح كالرغيف و هو مرتد ثيابه غير أنه عاري القدمين ...الغرفة العارية كل العري** .[3]

والقبو الذي اتخذه ورشة لصناعة النسيج يرمز للوطن فكل عامل مضطر إلى النزول تحت الأرض لبداية يومه المهني.

" و كمندار " في النّول هو جزء من تراب هذا الأرض فالأرض عند الفلاح في الأم و الحب و القداسة و نهاية المطاف و هذه التربة تمثل سر الحياة بل هي الحياة **. هؤلاء**

[1] :أم الخير جبور : الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ، ص 192 .

[2] : محمد ديب : الدار الكبيرة ، ص 81 .

[3]: محمد ديب : النّول ، ص 140.

الرجال ...لتخذوا مظهر و لون و رائحة الأرض التي خرجوا منها ، فهم يتنفسون لأجل بقاءها ، فهي تحمل هويتهم و تحتضن نهايتهم لذا نجدهم دوما على استعداد للتضحية فداءا لها لأنّ سلب الأرض هو القتل .[1]

تحمل الأرض قيمة كبيرة عبّر الكاتب من خلالها على جزائر حزينة لها مكانتها عند شعبها مهما تأزمت أوضاعهم و أغلقت الأبواب في وجوههم ، فهم لا يبيعون شبرا منها فالأرض رمز للحرية في نظرهم .

من بين الأفكار التي يطرحها الكاتب ضرورة المحافظة على هذه الأرض و أنّها أمانة الأجداد و لا بد من المحافظة عليها فقد جاء في لسان أيوب. **سيأتي يوم يطالبنا فيه أبناؤنا بحسابات شديدة سيقومون من أجل لعننا...استشف المستقبل .**[2]

شخصية عمر على الرغم من ظروفها الصعبة إلا أنها دائمة البحث عن الوطن و قد وفق ديب في ربط أمومة عيني المتناقضة بين الحب و الغضب مع أمومة الوطن ، لذا اقترنت صورة الوطن بصورة الأم في وعي الطفل عندما سألهم المعلم عن معنى كلمة " الوطن " و هل فرنسا هي الأم ، هنا شغلت عمر صياغة تركيب هاته الجملة و حاول الربط بين فرنسا و الأم ، **فرنسا عاصمتها باريس ...فرنسا رسم مختلف الألوان ...عيني ليست فرنسا ...ففرنسا ليست أمه " .** [3]

وبعد لحظات من التأمل وصل إلى أن العبارة لم تكن إلا أكذوبة و بدأ المعلم في توضيح مفهوم الوطن و نفى أن تكون فرنسا هي الأم لأنّ الوطن هو الأرض و البشر و المصير المشترك، يمنحنا حيزا من الحياة و ينتظر منا المقابل.**الوطن هو أرض الآباء هو البلد الذي أقمنا فيه منذ أجيال كثيرة.**[4]

[1]: محمد ديب : الحريق ، ص 145 .

[2] :المصدرنفسه ، ص 75 .

[3]: محمد ديب : الدار الكبيرة ، ص 23 .

[4] :المصدر نفسه ، ص 25 .

المبحث الثاني:الانتماء في الخطاب الروائي الجزائري"محمد ديب" أنموذجا.

كتب محمد ديب ثلاثيته " الدار الكبيرة " ، " النّول "، " الحريق " مبرزا موقفه من ظروف الجزائر أثناء الفترة الاستعمارية بحيث غاص في الواقع الجزائري في فترة حالكة من تاريخها ، جاءت ثلاثيته بلغة فرنسية حاملة انتماءا جزائريا عربيا إسلاميا ليؤكد الروح العربية فيها .

1ـ تجليات الانتماء الدّيني :

نجد الجانب الدّيني ماثلا في ثلاثية محمد ديب و خاصة في رواية " النّول " فهناك حديث مطول عن الله سبحانه و تعالى ففي حوار بين " عكاشة " و" عمر " يلتمس ان جدارا يحميهما من الأوضاع العامة المزرية في الجزائر ، فهما يبحثان عن حماية دينية تشعرهما بالأمان ،والحاجة إلى إيمان صادق يعزز ثقتهما و يزيل ذلك الشك الذي بدأ يزحف شيئا فشيئا مشعرا صاحبيه بتأنيب الضمير .

فإذا كان الضمير غير مرتاح فليس بجرم ارتكب و إنما إحساس عام لا يملك صاحبه سببا مقنعا فلربما كان سببه قلة الحيلة ،وعدم المقدرة على مواجهة الواقع بقسوته و ظلمه المتناهي و ربما لأنّ الوعي الحالي لا يتيح لصاحبه الفصل إلى رضا نفسي فهذا الوعي لا ينسجم مع القناعات الدينية و لا يمكنه جلب السلام و السكينة للشخص الذي يقول عن نفسه مؤمنا .[1]

الإيمان حسب محمد ديب ليس شعائر تؤد ى بمواظبة ، و يتباهى بها أصحابها ، لكن الإيمان هو أن يمتلك الإنسان رسالة يؤديها أثناء وجوده في هذه الحياة ، **ليس يكفي المرء بعد الآن أن يكون مؤمنا حتى يرتاح ضميره ...طبعا أتمنى لو كان إيماني مصحوب براحة في ضميره ...و لكنني مؤمن و غير مرتاح الضمير.**[2]

[1] :أم الخير جبور : الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ، ص 271 .

[2]: محمد ديب : النّول ، ص 81 .

يقف ديب عند الممارسة الدينية المتمثلة في فريضة الصلاة و ترتيل القرآن فيصف تأدية الأمين غوتي لهذا الركن الإسلامي فصلاته كانت تعكس السكون الروحي لإهتزاز فيها ، توحي بثقة إيمانية و يبدوا التمسك بالدين داخل مكان العمل ، حيث يرتل القرآن كدليل على الحفظ و الاهتمام و معرفة ما يملك معرفة انتماءه و هويته . **كان عمر يراقبه من الركن الذي هو فيه لقد سبق أن رأى كثيرا من الناس يصلون لكنه لم يرى في حياته أحدا يصلي كما يصلي غوتي الأمين إن في وجهه بلاغة خرساء قلما يرى المرء مثلها في وجه غيره .** [1] **...أخذ بصقالي يرتل القرآن فلم يلبث غوتي الأمين أن أخذ يصاحب الترتيل شيئا فشيئا، إن صوت با صقالي خشن عصبي ، أما صوت الأمين فهو سيال عميق يدرك المرء أنه نال من التدريب قسطا لم ينله الآخر.**[2]

و في مقطع آخر يذكر السارد عن عمر و هو يراقب صلاة أمّه مؤكدا تعلق شخوصه بالإسلام .**كانت أمه تصلي ضلت قائمة متجمدة في استقامة مدة طويلة ، فجأة انثنى جسدها للركوع ، ثم حطت وجهها على الأرض للسجود .**[3]

إلى جانب هاته الشخصيات المتدينة التي احتمت تحت راية الإسلام هناك شخصيات لجأت ما حرمه الدين ، وهنا يعكس ديب نقطة اجتماعية تتمثل في شرب الخمر و التي ارتبطت بواقعه الجزائري ، إذ نجد روايات محمد ديب تهاجم بشدة هذه الآفة ، فشخصية أحمد دزيري والد عمر ، مصطفى رزاق و هم أحد عمال النّول يقدم تبريرات لجوءه إلى شرب الخمر هي عملية هروبية من الواقع الشخصي و الوطني .[4]

فبالنسبة لرزاق فإنّ الخمر كانت تساعده على النسيان ، نسيان تفاهة الرجال و سخافتهم يقول لمفتش الشرطة أنه يشرب الخمر ليس حبا فيه و ليس حبا في مجالسة السكارى ، و لكن الإدمان على شرب الخمر يعد حلا من حلول التهرب من التذكر و اليقظة حل يسميه البعض نسيان، فالخمر في اعتقاده مسكنا لآلامه ، و يرى أن المفتش

[1] :المصدر نفسه : ص 45 .

[2] :المصدر نفسه : ص 51 .

[3]: محمد ديب : الدار الكبيرة ، ص 42 .

[4] :أم الخير جبور : الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ، ص 271- 272 .

يسكن آلامه بتعذيب إخوانه الجزائريين . **أنا أسكر فأسلوا أما أنت يا غبي فما سبيلك إلى السلوان ؟ أ هو تعذيبك لإخوتك البشر ... ما الفائدة من الحياة ؟ لا فائدة منها...لذلك أشرب ، و أنا أثناء السكر أنسى حماقة البشر.**[1]

نجد انتشارا كبيرا لهذه الآفة على الرغم من أن الشعب كان يستقبحها و سعى لمحاربتها يقول غوتي الأمين منتقدا يعرف كيف ينفق في الإثم أما بعد ذلك فيا ويلنا ...إنه يماطل في الدفع أسبوعا بعد أسبوع .[2]

رقف داخل الثلاثية أيضا على حضور المقامات والأولياء الصالحين في المجتمعات العربية و المسلمة هو كل ما اشتمل على السماحة و الزهد و العفة ، أضاف إليها أيضا صورة المرأة في ظل مجتمع محافظ متدين يقول : **ولى هاربا لاحقته بخطوات واسعة اجتاز ساحة الدار مسرعا إلى أن بلغ ردهة الدار للهروب إلى الشارع عند وصولها إلى الدار لم تطق أمه التي لم تضع حائكها " الذهاب بعيدا .[3] تجمع لالة حائكها ...[4] .**

عمد إعطاء شخصياته أسماء مستمدة من التاريخ العربي الإسلامي للحفاظ على الهوية العربية الإسلامية و الأصالة و وحدة الانتماء (عائشة – إبراهيم – ادريس – فاطمة – مريم - زهرة – حمزة ...).

توظيف معان قرآنية إذ لم يبق محصورا في توظيف النص القرآني باستعمال الآيات الكاملة أم الناقصة، بل كان يستعملها بتصرف عملية السياق اللّغوي مؤكدا أنّ القرآن مازال المرجع الأساسي في توجه كل أمّة يقول **: مهما اتجهوا فقد وجدوا القانون ماثلا أمامهم ليضرب على أيديهم وسيظلون جناة في نظر القانون هناك آلاف المبررات لرفع الوصايا العشر في وجوههم .**[5]

[1] : محمد ديب : النّول ، ص 82 .

[2] محمد ديب : النول ، ص 118 .

[3] : محمد ديب : الدار الكبيرة ، ص 36 .

[4] :المصدر نفسه ، ص 110 .

[5] : محمد ديب : الحريق ، ص 109 .

أظهر أيضا فكرة القدرية والمكتوب التي تتردد على ألسنة بعض الشخصيات و الكاتب هنا لا يبرزها كفكرة عقيدة يؤمن بها أو يرتب عليها شيئا من الأحداث و إنما يبرزها كظاهرة اجتماعية ذات طابع لغوي .

المقاطع السردية تعكس الثقافة الدينية بالنسبة للكاتب و انتماءه الثقافي العربي ، و أن الجزائري لم ينسلخ يوما عن دينه على الرغم من الجهل الذي خيم على الكثير من العقول فالدين هو عنصر قوتها ، ويرى أن شروط النهضة لا يمكن أن تقوم على أساس الرجوع إلى الأصل أي الدّين الصحيح .[1]

2/ تجليات الانتماء الإيديولوجي :

عند ما نقف على نص أدبي معين لابد أن تنظر داخل النص الروائي " تلك العلاقات الماكنة التي تمثل في الغالب مفاهيم تصورية أساسية في وصف الواقع الاجتماعي و الأحكام الثقافية و الأخلاقية و التصفيات الإيديولوجية الحاضرة في مختلف الأنساق . [2] جميع القضايا المعالجة لا يمكن أن تتجلى في صيغ مستقلة عن بنية النص المبدع و لا يمكن أن تكتسب تجسيدها إلا ضمن هذه البنية حيث تفصح عنها العلاقات الداخلة فيها و التفاعل بين مكوناتها اللغة المختلفة ، و كل ذلك يشكل أو ينبئ عن توجه محدد لدى مشكلها أي يفصح عن انتماء إيديولوجي يكون مرافق و ملازم لآلية شكل العمل الأدب و بذلك يصبح المكون الإيديولوجي بؤرة يفيض منها النص .[3]

الانتماء الإيديولوجي سواء أفصح عنه الأديب أو أضمره داخل عمله الإبداعي يكون حاضرا و مؤثرا في البيئة المعمارية لنصه ، نجد محمد ديب في ثلاثيته ينطلق من مؤثرات نشاطه السياسي الحزبي الذي عمل مراسل الصحيفة فترة من الزمن و إن كان المؤلف قد تخلى عن كفاحه الرسمي في الحرب عام 1952 فليس ذلك تغييرا لمبدأ و إنّما من أجل الصدق و الإخلاص و التمسك في المبادئ الحربية التي لم يجد وفاءها

[1] : أحمد سيد محمد : الرواية الانسانية و تأثيرها عند الروائيين العرب ، ص 105 .

[2] :محمد بوعزة : تحليل النص السردي (تقنيات و مفاهيم) الرباط ، دار الايمان ، ط1 ، 2010 ، ص 99 .

[3] :ابراهيم عباس : الرواية المغاربية " تشكل النص السردي في ضوء البعد الايديولوجي ، الجزائر، دار الرائد للكتاب ، 2005 ، ص 214 .

عند أولئك المنتمين للجزء الشيوعي ، و راح الكاتب يتابع نشاطه من أجل تلك المبادئ بعد أن غير أسلوب عمله و وسيلة الكفاح و قد انعكس هذا الموقف الإيديولوجي في ابرازه دور طبقة العمال و الفلاحين من سائر الطبقات في شتى مراحل العمل الفني و تحرك الأحداث فهم وحدهم الذين يعانون و يواجهون السلطة و يهيئون للوعي .[1]

كشفت الثلاثية عن عالم البؤس و معاناة الفلاحين من الفقر المدقع و الاستغلال و قهر المعمرين لهم، كلما حاولوا أن يحتجوا على وضعهم المزري، يقول **: ينبغي أن نضع حدا لهذا البؤس...عمال القطاع الفلاحي هم أول الضحايا المستهدفة بالاستغلال السائد في بلدنا،...أجور من 8 إلى 10 فرنك في اليوم، هذا لم يعد مطابقا، ينبغي الحصول على تحسين فوري لظروف معيشة عمال الأرض ...سيعرف العمال كيف ينتزعون هذا النصر من المعمرين ومن الحكومة العامة. هم العمال مستعدون للكفاح.**[2]

الجزء الأول من الثلاثية شكل منعطفا حاسما في تطور الأدب الروائي الجزائري المكتوبة بالفرنسية على مستوى المضمون،عندما تكلمت عن الطبقات الدنيا من المجتمع و تحدثت عن هموم الناس البسطاء من عامة الشعب ، تصف أحوالهم المعيشة القاسية و معاناتهم من الجوع و القهر و الفقر فالأوّل مرة تطرح تساؤلات صريحة عن الهوية الوطنية و عن مفهوم الوطن ، عن الهوية الحقيقية للجزائريين و تستكمل توجهها في أعماله اللاحقة (الجزء الثاني و الثالث).[3] **يتوجه الفلاحون إلى العمل من غير حاجة إلى أن يقال لهم ذلك و هم مخلقون لهذا.فهم قنوعون متزنون في أذواقهم ، لكن لا تطلبوا منهم أن يحنوا ظهورهم ...مجموعة قليلة من الناس ، لا تتميز بشيء فوق العادة لكن جميع ما يشكل الجزائر مختصر فيها** .[4]

شخصية حميد سراج و عكاشة ساعدته في إبراز انتماءه للحزب الشيوعي.

[1] :احمد سيد محمد:الرواية الانسيابية و تأثيراتها عند الروائيين العرب، ص 108.

[2]:محمد ديب :الدار الكبيرة , ص135.

[3]:أحمد منور : الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ، ص106 - 107.

[4]:محمد ديب : الحريق ، ص50.

الصراع بين البرجوازية بشقيها الاستعماري و الوطني على حدى و الطبقة العاملة الكادحة بكل شقائها و عدميتها من جهة ، جعل من الخطاب الروائي ، يحوي صراع طبقي إيديولوجي ، فالأديب يبرز هذه البرجوازية بشقها العميل لما مارسته من قمع جماعي لاختلافها معهم إيديولوجيا.

وعليه يتضح من خلال المضمون الروائي صراع إيديولوجي واضح المعالم، فيسقط فكره بشكل ألي على أبطاله. يقول: **هناك لحظات لا ينصب المرء فيها على العمل يقلبه فاليدان لا تعملان و لكن الفكر شارد في مكان ما ، و شب القلق عندئذ في النفس فما نطيق بعد ذلك صبرا.يقول بعض الناس "الانسان هو كيت وكيت الإنسان...الإنسان إن أفواههم ممتلئة بهذه الكلمة .ألاّ قولوا أيها الأصدقاء:من الإنسان الذي يعنون ؟.**[1]

أراد الكاتب إبراز دور الحزب الشيوعي في الثورة التحريرية و قيامه بتجنيد الطاقات الوطنية رغم القمع الذي قوبلت به تطلق السلطات سراح المساجين مصرحة لهم بأنّ أسماءهم مؤشرا عليها بالمداد الأحمر بأنّ الأمر لن يتوقف عند هذا الحد بأنّه سيتكفل بهم كما ينبغي ، هذا هو ما وعد الفلاحون به في الأيام المقبلة .

عبّر الكاتب عبر شخصياته تصوير العمال في الريف و المدينة و ما يقاسيه من تهميش، صور رغبته في التخلص من الواقع الرهيب ، **فإن وجد رجال في الريف أو في المدينة ينتقصون من أجل فتح السبيل إلى و جود أفضل , عندها لن يعود هناك فرق بين المدينة و الريف . لا ينبغي أن يستنفذ ناس الريف و أن يتجففوا في أراضيهم وأن يظل ناس المدينة سجناء، جدرانها متعفنين وسط يوميات حياتهم.**[2]

3 /تجليات الانتماء القومي (القومي):

استطاع ديب أن يعبر عن ملامح هويته العربية الجزائرية، عندما تناول قضايا شغلت الجزائر و العربي فأعطى لها صورتها و لمثيلاتها ، إذ كان العالم العربي يعيش أوضاعا

[1]:محمد ديب: النّول ، ص51.

[2]:محمد ديب : الحريق ، ص49.

مختلفة ، فمن الناحية السياسية كانت الجزائر تحت وطأة الاستعمار أمّا باقي الأقطار العربية فكانت ما بين حماية ، وصاية ، انتداب،...

رسخ ديب هويته العربية عبر مواضيعه التي احتفظت بمعظم تقاليدها المتوارثة و جسد كل ذلك عبر ملامح شخصياته الروائية و البيئية ، يبرز فيها حضارة الشعوب و تاريخها.[1]

النزعة الإنسانية العالمية تطل وراء السطور في ثلاثيته، وإن كان ظاهرها يدل على أنها تعالج مشكلة وطن بعينه، في ظروف خاصة لكن دلالتها البعيدة أوسع و أشمل من ذلك فقضية الاستعباد قضية بشرية قد تختلف مظاهرها و مواقفها و أساليبها.

الأديب يلجأ إلى اختراع عالم وسيط ، هو الذي يحرك فيه أحداثه ، الثلاثية لا تقف عند حدود الجزائر و فرنسا بل تمتد إلى كل بلاد العالم لأنّ ظاهرة الاستغلال تأخذ أبعادا شتى فهناك الاستغلال في النقود و الجهد و الفكر و غيرها .[2]

يقول غشي الليل هذا العالم: لم يذكر أحد متى, ولا كيف؟ وألان يتراكم الليل على الليل سبات شاسع، متربص يبدد كل ما يصبو إلى الحياة...عالم تذروه الشمس و الرياح شيئا فشيئا.[3]

عمد الكاتب و بأسلوب رمزي تناول قضايا عربية و غالبا ما تكون القضايا متعلقة بظروف الصراع العربي ، و الحروب ، والجوع و ما ينتج عن كل ذلك ، لكن أكثر اهتمامه هو الإنسان العربي بآماله و آماله ومحنه، مؤكدا أهم ما يضيع منه ، **لماذا صار العالم إلى ما صار إليه، لماذا صار العالم شيئا ، لا يشتهي المرء أن يلقي عليه نظره ؟**

[1]:محمد مصياف : النثر الجزائري الحديث ،ص50.

[2]:أحمد سيد محمد : الرواية الانسيابية و تأثيراتها عند الروائيين العرب ،ص70.

[3]:محمد ديب : الحريق ، ص260 - 261 .

لفقدان الاحترام، إن الذين يحترمون إخوتهم بني الإنسان لا وجود لهم اليوم على هذه الأرض.[1]

نجد أيضا قضية اللاجئين ، التي تعدت ظاهرة عربية منتشرة في سائر الأقطار العربية مبرزا أسباب الظاهرة محاولا الربط بين مصائر بني البشر و المصير الموحد مما يعطي الأسلوب عمومية أوسع وأنّ القضية الجزائرية و الثورة التحريرية جزء طبيعي من قضية عربية كبرى. [2]

فالبطولة و الحرية و التضحية في المتن الروائي الجزائري ما هي إلا نافذة تطل على قضايا الآخر لتستكمل هويتها.

الثلاثية تسعى إلى إيقاظ الحس القومي لدى الشعوب، تكشف عن كل عملية إجهاض في حق المبادرات الوطنية التي تستهدف بعث ثقافة عربية، فالرواية عموما و الثلاثية خصوصا معطى متعدد و حس عربي فياض و إبداع يعمق هوية عربية إسلامية.[3]

[1]:محمد ديب : النّول ، ص101.

[2]:محمد مصياف : النثر الجزائري الحديث ، ص51.

[3]: المرجع نفسه ، ص49.

خاتمـــــــــة:

في نهاية البحث سنحاول أن نوجز بأهم النتائج التي توصلنا أليها:

معرفة أهم العناصر التي تقوم عليها الرواية ومعارف أخرى.

تمكنت الرواية الجزائرية من فرض نفسها ضمن أهم الفنون الأدبية لاستيعابها للأسس الفنية. التي يبنى عليها العمل الفني وارتباطها بالتحولات الحاصلة .

عرفت النصوص الروائية أشكالا متعددة و مضامين متنوعة مساءلة بها الواقع .

استطاعت المتون الروائية إثبات انتمائها و هويتها العربية الإسلامية .

تمكن محمد ديب في ثلاثيته أن يؤرخ لثورة جزائرية، و أن تكون بمثابة مذكرة شعب كما وصفها أراغون .

الثلاثية تحيلنا إلى مرجعية اجتماعية و سياسية لها أبعادها الإيديولوجية ، اتخذت نماذج من حياة أناس أرقهم السعي اليومي ، و الصراع مع الفقر و الجوع ، البطالة ، ...

تعد الروايات صورة حية تنبض بالألم، لما يعانيه الشعب الجزائري، محاولا نقلها للرأي العالمي.

عمد ديب إعطاء شخصياته ملامح مستمدة من التشريع الإسلامي .

برهن الكاتب عن قدرة روائية كبيرة، برؤية صادقة و دقيقة مؤكدا انتماءه الجزائري العربي الإسلامي.

أخذت تجربته الإبداعية مساحة خصبة في خارطة الثقافة العربية و الغربية .

حاولنا دراسة هذا البحث بكل عناء راجينا أن نبلغ الهدف فإنّ وفقنا فمن نعم الله علينا وإن قصرنا فحسبنا أننا بحثنا .

وختاما نصلي على الحبيب المصطفى صلى الله عليه و سلم، و الحمد لله.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

أ/ المصادر:

من سورة "ص",رواية ورش .

ـ ابن جني : الخصائص , تح: محمد علي النجار , بيروت , دار الكتاب العلمية , ج1 , (د.ت).

ـ أحمد رضا حوحو : غادة أم القرى ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط2 ، 1985 .

ـ الشافعي: الرسالة, تر: محمد شاكر, القاهرة, المكتبة العلمية, ط1, (د. ت).

ـ باختين مخائيل :الملحقة الرواية , تر: تح : جمال شحيذ , (د.ط) .

ـ عايدة أديب بامية : تطور الأدب القصصي الجزائري ، تر / محمد صقر ، ديوان المطبوعات الجامعية و الرؤى الدلالية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ط1 ، 1990.

ـ محمد ديب : الحريق :تر: احمد بن محمد بكلي ، الجزائر، مطبعة الفنون ، ماي 2012 .

ـ محمد ديب :" الدار الكبيرة " تر : أحمد بن محمد بكلي ، الجزائر، مطبعة الفنون ، ماي 2012 .

محمد ديب : النّول ، تر : سامي الدروبي ، روايات الهلال ، دار الهلال ، 1970 .

ب /المراجع :

ـ ابراهيم عباس : الرواية المغاربية "تشكل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي ، دار الرائد للكتاب ، 2005.

ـ أحمد سيد أحمد : " الرواية الانسانية و تأثيرها عند الرواد بين الأدب العرب (محمد ديب– نجيب محفوظ) ،الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ،1989 .

ـ أحمد سيد محمد :الرواية الانسانية " تأثيرها عند الروائيين العرب "محمد ديب ـ نجيب محفوظ "،الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،(د .ط).

ـ أحمد منور " الأدب الجزائري بالسان الفرنسي نشأته و تطوره، ديوان المطبوعات الجامعية 2007 .

ـ بشير بويحرة محمد : بنية الشخصية في الرواية الجزائرية ، منشورات دار الأديب ط2 ، 2006 .

ـ جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، بيروت، المركز الثقافي ط3، 1992،

ـ حسام الخطيب: بناء الشخصية الروائية ,في رواية نجيب محفوظ ,لبنان , دار الحداثة ط1 .

ـ حلمي محمد القاعود: الرواية التاريخية في أدبنا الحديث "دراسة تطبيقية "، دار العلوم و الإيمان للنشر و التوزيع، 2008 .

ـ سعد يقطين : تحليل الخطاب الروائي ، لبنان ، المركز الثقافي العربي ، ط2 ، 1993.

ـ سيزا قاسم :بناء الرواية "دراسة تحليلية لثلاثية نجيب محفوظ ,القاهرة,2004.

ـ عامر مخلوف : الرواية و التحولات في الجزائر ، دمشق ، منشورات اتحاد الكتاب ، 2008.

ـ عايدة أديب :تطور الأدب القصصي الجزائري ,تر:محمد صقر ,ديوان المطبوعات الجامعية ,الجزائر.

ـ عبد الله إبراهيم : المتخيل السردي مقاربات نقدية في التناص ، الجزائر ، 1982.

ـ عبد الله الركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث ، الدار العربية للكتاب ، الجزائر ، 1974 .

ـ عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية"بحث في تقنيات السرد"، سلسلة عالم المعرفة,1998 .

ـ عبد المالك مرتاض ديوان: فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931 – 1954 ،الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط1 ، 1989 .

ـ علال سنقوقة: المتخيل و السلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة ،الجزائر ،منشورات الاختلاف ،ط1، 2000 .

ـ عمرو عيلان : الايدولوجيا و بنية الخطاب الوائي "دراسة سوسيو بنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة " قسنطينة , منشورات جامعة منتورات 2001.

ـ محمد أحمداني: بنية النص السردي "من منظور النقد الأدبي " المركز الثقافي العربي, ط3 2000.

ـ محمد بشير بويجرة : بنية الزمن في الخطاب الروائي "1970 ـ 1986"، منشورات دارالأديب ج2 (د.ت).

ـ محمد رياض وتار : توظيف التراث في الرواية العربية ، دمشق ، منشورات اتحاد الكتاب العرب 2002.

ـ محمود قاسم ، الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية ، مطابع الهيئة المصرية ، 1997 .

ـ مخلوف عامر : توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، منشورات دار الأديب ، 2005.

ـ مخلوف عامر : توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، منشورات دار الأديب ، 2005.

ـ واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ،الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989

ـ واسيني الأعرج : الطاهر و طار و تجربة الكتابة الواقعة ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1986.

ـ يوسف الأطرش : المنظور الروائي عند محمد ديب , الجزائر , منشورات , إتحاد الكتاب الجزائريين , 2004 .

ابراهيم عباس : الرواية المغاربية " تشكل النص السردي في ضوء البعد الايديولوجي ، الجزائر، دار الرائد للكتاب ، 2005.

أم الخير جبور : الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيو نقدية ، ميم للنشر ، ط1 2013 .

حسن تهمي : شعرية الفضاء السردي "المتخيل و الهوية في الرواية العربية "، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ،2000.

سعاد محمد خضر : الأدب الجزائري المعاصر " دراسة أدبية نقدية " ،صيدا بيروت ،منشورات المكتبة العصرية ، 1928.

محمد بوعزة : تحليل النص السردي (تقنيات و مفاهيم) الرباط ، دار الايمان ، ط1 ، 2010.

محمد بوعزة : تحليل النص السردي (تقنيات و مفاهيم)،الرباط ، دار الإمارات ، ط1 ، 2010 .

ج/ المعاجم:

ابن منظور:لسان العرب, بيروت, لبنان, دار صادر, م6, 2002.

لويس معلوف :المنجد في اللّغة و الأدب و العلوم ,ط1,بيروت (د . ت) .

د / الرسائل الجامعية:

ـ سليماني فطيمة : الشخصية التاريخية في الرواية الجزائرية و هوية الانتماء ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، أدب حديث و معاصر ، إشراف ،د.سعيدي محمد ،2010 - 2011 .

ـ لطيفة قرو:هاجس الراهن في ثلاثية الطاهر و طار "الشمعة و الدهاليز ـ الوالي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي ـ الولي الطاهر ير فع يديه بالدعاء"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب المعاصر،كلية الآداب واللغات ،إشراف د.رشيد قريبع، 2009-2010 .

و/ الملتقيات و المجلات :

ـ بنراج سفيطلا : مولود فرعون و إبداعه ، الجزائر، مجلة التبيين ، جمعية الحافظة الثقافية ، العدد 8 ، 1994.

ـ رشيد بن حدو : قراءة في القراءة , مجلة الفكر العربي المعاصر , لعدد 49 , 1988 .

ـ فتحي بوخالفة : محاضرات السنة الأولى ماستر " أدب جزائري " , المسيلة , 2014 .

ـ محمد كامل الخطيب: الرواية و الواقع، دار الحداثة، ط1، 1981.

ـ محمود أمين العالم: الدين و السياسة، مجلة الحداثة.

ـ مرتاض مالك : الرواية جنسا أدبيا , مجلة الأقلام , 1986.

ـ مفقود صالح: نشأة الرواية العربية في الجزائر " التأسيس و التأصيل "، مجلة الخبر ، العدد 2 . 2005

ـ نبراج سفيطلا : مولود فرعون وإبداعه ، مجلة التبيين ، جمعية الجاحظية الثقافية الجزائرية ، العدد 8 ، 1994 .

ه / المواقع:

url/ http. www. almadina . com يوم : 20-02 - 2012 .

منتديات الساخر ـموقع على الإنترنت - www. Alsakher. com. . يوم: 11 - 01 - 2015.

الفهرس

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

شكر و عرفان

مقدمة .....أ

الفصـــــل التمهيـــــدي

1/ الإطار المنهجي 04

1 - 1 : موضوع الدراسة 04

1 - 2 : إشكالية الدراسة 04

1 - 3 : فرضيات الدراسة 05

1 - 4 : منهج الدراسة 05

1 - 5 : أهداف الدراسة 05

1 - 6 : أهمية الدراسة 06

2/ الإطار المفاهيمي 10

2 - 1 : تعريف الرواية 10

2 - 2 :تعريف الخطاب 11

2 - 3 :تعريف الشخصية 12

2 - 4 : تعريف الزمان 12

2 - 5 : تعريف المكان 13

2 - 6 : تعريف الهوية 14

2 - 7 : نبذة حول حياة " محمد ديب "..... 15

2 - 8 : ملخص الثلاثية 17

الفصـــل الأول: الانتماء في الخطاب الروائي الجزائري

1 / المضاميـــن..... 20

1 - 1: الاجتماعي 20
1 - 2: السياسي 24
1 - 3:الثورة 27
1 - 4: التاريخ 28
1 - 5: التراث 30
1 - 6: الأسطورة 31
2 / أشكالـــــــه: 33
2 - 1: التقليد 33
2 - 2:التجديد 36
1: تجليات الانتماء الدّيني 41
2:تجليات الانتماء الإيديولوجي 42
3:تجليات الانتماء القومي 44
الفصل الثاني: فكرة الانتماء في الخطاب الروائي الجزائري ثلاثية "محمد ديب" أنموذجا .
ـ ملخص الثلاثية (الدار الكبيرة ـ الحريق ـ النّول) 48
ـ مضامين الخطاب الروائي الجزائري في ثلاثية "محمد ديب "..... 61
1 ـ المضمون الاجتماعي 61
2 ـ المضمون السياسي 67
3 ـ الثورة 71
4 ـ الأرض 74
ـ الانتماء في ثلاثية محمد ديب 76
1 ـ تجليات الانتماء الدّيني 76
2 ـ تجليات الانتماء الإيديولوجي 79
3 ـ تجليات الانتماء القومي (العربي) 81
خاتمة 84

ملخص

ملخــص:

استطاع محمد ديب في ثلاثية" الدار الكبيرة، الحريق، النّول" أن يخرج عمله الأدبي في عدة مستويات فنية متعددة وأن يحقق معادلة التوافق الوجودي بين الذّات والثورة، تجري أحداث الجزء الأول بإحدى دور مدينة تلمسان ،وهي دار سبيطار التي يقطنها العديد من العائلات الجزائرية ، بينما ينقلنا في الجزء الثاني إلى عالم الفلاحين بقرية مجاورة لتلمسان وهي بني بوبلان ، ويصل بنا أخيرا إلى أحد مصانع النسيج ليرصد أمال وألام عماله .

تضعنا هذه التجربة الروائية أمام نص روائي بالغ التنوع والاختلاف ، أمام وقائع وأحداث وأحاسيس و فضاءات ملموسة تحقق هوية الكتابة من جهة، وهوية القراءة من جهة أخرى.

ركز محمد ديب على الوضع التي آلت إليه الجزائر بكل مضامينه وجوانبه على الشعب بمختلف طبقاتهم ، والطبيعة بتقلبات فصولها ، على جيل اكتمل وعيه بحالته الاجتماعية والسياسية .

تكشف الدراسة عن الملامح البيئية والشخصية الجزائرية ، بأبعادها الرمزية والإيديولوجية والتي ميزت إبداعه وكرست انتماءه الجزائري العربي والإسلامي ووضعته في مستوى رفيع بين كتاب الرواية الجزائرية، لتصح الثلاثية بمثابة مذكرات للشعب الجزائري ، أو هي "الجزائر" نفسها كما وصفها "أرغون" .

RÉSUMÉ

Mohamed Dib a réussi dans sa trilogie, là grande maison (1952) l'incendie (1954) et le métier à tisser (1957) de sortir son œuvre littéraire dans des niveaux artistiques et à réaliser l'équation de la compatibilité existentielle entre le soi et la révolution. les événements de la première partie se passent dans l'une des maisons de Tlemcen qui est Dar Sbitar habitée par plusieurs familles algériennes et dans la deuxième partie il nous amène au monde des paysons d'un village de Tlemcen qui est « Beni Boublen » et arrive finalement et dans la troisième partie à l'un des usines à tisser pour révéler l'espoir et les douleurs de leurs travailleurs.

Cette expérience romanesque nous pose devant un texte très différent et varie et devant des réalités, des événements et des émotions qui forment l'identité de l'écriture d'un coté et l'identité de lecture d'un autre coté.

Mohamed Dib a concentré sur la situation de l'Algérie aves touts ses cotés et sur le peuple avec ses différents couches et à la nature avec ses saisons sur une génération avec ses cas politiques et sociales.

Cette étude montre les aspects de la personnalité, de l'environnement algérien avec ses dimensions symboliques et écologique qui ont distingué sa création et son invention, a confirmé son appartenance à l'identité algérienne et arabo-musulmanes et l'a mis dans une place exceptionnelle parmi les écrivains du roman algériens.

Cette trilogie est devenue des mémoires au peuple algérien, d'autre terme c'est l'Algérie elle-même comme l'a décrit oragon .

تم بحمد الله